TIGHT BINDING BOOK

مجنون ليلى

تأليف

احمد شوقي بك

مطبعة مصر ١٠,٠٠٠'٣١/١٩١١

الى صاحب السمو الملكى

الأمير فاروق ولى عهد الدولة المصرية

فاروقُ يا بنَ خيرِ أبْ   وأرفعَ اسمٍ فى العربْ

أهـدى الـك والى   أبنـاءِ جيلِك النجُبْ

ومَنْ يلَى جيلَك مِن   نَشْءِ العدِ الفطِنِ الأرِبْ

الـكافلين السـلَ مِن   مَنبعـــه الى المصَبْ

الطـائرينَ كالنسو   رِ لدائرينَ كالشهُبْ

المالئينَ المُلْكَ من   كتائبٍ ومن كُتُبْ

روايةَ من خُلُقٍ   مُهذَّبٍ ومن أدبْ

بيانهـــا السهلُ الى   بدائعِ الفُصحَى سَبَبْ

تُمثِّلُ البـــدَ على   عهدِ اميّـةَ النحبْ

ولمحـــةً من الحجا   رِ وهو فى عصرِ الذهبْ

فى جاهليّـــةٍ على   نظْمٍ من الخلْق عجَبْ

تَفيضُ من بُطولة ومن قوافٍ وخُطَبْ

ألبسها « مُحَمَّدٌ » ثوبَ الحضارة القشِبْ

أصلح من بُنيانها وشدّه من الطُّنُبْ

ما كان من خيرٍ بها أقام ، أو شرٍّ ذهبْ

شوقي

تمهيد

زمن الرواية :

صدر الدولة الأموية

مكان الرواية :

بادية نجد

أشخاص الرواية :

قيس — مجنون ليلى

ليلى

المهدي — أبو ليلى

ورد — زوج ليلى

ابن عوف — أمير الصدقات في الحجاز وعامل من عمال بني أمية .

زياد — راوية قيس وصديقه

منازل — غريم قيس في حب ليلى

بشر — رجل من بني عامر

ابن ذريح — شاعر من شعراء الحجاز

نصيب — كاتب ابن عوف

سعد — رجل من بنى عامر

الغريض — مغن مشهور

ابن سعيد — شاعر

أمية — رفيق ابن سعيد

الأموى — شيطان قيس

عصرفوت
هبيد
عسر
عاصف
— شياطين

بلهاء — جارية قيس

عفراء — جارية ليلى

سلمى
هند
عبله
— فتيات من بنى عامر

رحال — قوافل — حداة — صبية — فتيات

الفصل الأول

« ساحة أمام خيام المهدى فى حى بنى عامر — مجلس من مجالس السمر فى هذه الساحة — فتية وفتيات من الحى يسمرون فى أوائل الليل ، وفى أيدى الفتيات صوف ومعازل يلهون بها وهم يتحدثون — تخرج ليلى من خيام أبيها عند ارتفاع الستار ويدها فى يد ابن ذريح »

ليــلى . دعى الغزْلَ سلمى وحَيِّى معى
منارَ الحِجازِ فتى يَثْرِبِ (١)

« تصافحه سلمى »

ويا هِنْدُ هــذا أديبُ الحِجازِ
هلمّى نُقَـــــدِّمه رحْبى

« تصافحه هند ويحتفى به السامرون »

ســعد : أمِن يَثْرِبٍ أنت آتٍ ؟

ابن ذريح: أَحل من البلدِ القُدُسِ الطيّب

ليــلى : أيا بنَ ذريحٍ لقينا الغمام

---

(١) يثرب ــ المدينة المنورة

هنـد : وطافَتْ بنا نَفَحاتُ النبي

« عله — هامسة الى سعد »

مَن ابنُ ذَرِيحٍ ؟

سـعد : وَصِـيٌّ ذِكرُه

على مَشرِقِ الشمس والمغرب

رَضيعُ الحُسَيْنِ عليـه السلامُ

وتِرْبُ الحُسَيْنِ من المكتبِ

« عله — الى بشر ومشيرة الى ابن ذريح »

أتسمَعُ بشرُ رضيعُ الحُسَيْنِ

فديْتُ الرضيعيْن والمُرضِعهْ

وأنت إذا ما ذكرنا الحسينَ

تصاممتَ !

« بشر — هامسا ومبلما كأنما يخشى أن يسمعه أحد »

لا جاهلاً مَوْضِعهْ

ولكن أخاف أمراً أن يرى علَيَّ التشيُّعَ أو يَسمعَه

احبُّ الحسينَ ولكنما لسانى عليه وقلبى معه !
حَبَسْتُ لسانىَ عن مدحه حِذارَ أُميَّـةَ أن تقطعه
إذا الفتنةُ اضطرمتْ فى البلاد
ورُمْتَ النجاةَ فكُن إمَّعَهْ !

ليلى : إبنَ ذريحٍ نحن فى عُزْلةٍ فهل على مُستفهِمٍ منك باس؟
دارُ النبيِّ كيف خلَّفتَها ؟
كيف تركتَ الأمرَ فيها يُساسْ

ابن ذريح: تركتُها ياليلَ مَضبوطةً يحكمُها والٍ شديدُ المراسْ
إن حديثَ الناس فى يثربٍ
همسٌ وخطوَ الناس فيها احتراس

ليلى : إبن ذريح لا تجُرْ واقتصِدْ أحلامُ مَرْوانَ جبالٌ رَواسْ
يؤسِّسُون المُلْكَ فى بيتهم
والعُنْفُ والشدةُ عند الأساس

« تتضاحك الفتيات وتقول احداهن لأخرى »

فتاة : ليلى على دينِ قيسٍ فحيثُ مال تميلُ ؟

وكلٌّ ما سرَّ قيسـا فعنـد ليلى جميلُ

ابن ذريح: ما الذى أضحك منى الظّبياتِ العامريّهْ

أَلأنى أنا شِيعِىٌّ وليلى أُمَويَّهْ ؟

إختلافُ الرأى لا يُفْسِدُ للود قضيه

ليلى : أعِرْنى سماعَك يابنَ ذريحٍ ولا تسمَعِ الطفلةَ الهاذيهْ

أتَيْتَ لنا اليومَ من يثربٍ فكيف ترى عالَمَ الباديه

أ كنتَ من الدور أو فى القصور

ترى هـذه القُبَّةَ الصافيه ؟

كأن النجومَ على صدرها

قلائدُ ماسٍ على غانيه

هند : كفى يابنةَ الخال ! هذا الحريرُ

كبيرٌ على الرمَّة الباليه

تأمَّلْ تر البيدَ يا بن ذريحٍ

كمقبرةٍ وَحْشَةٍ خاويه

سئمنا من البيد يابن ذريح ومن هـذه العيشة الجافيه

ومن مُوقدِ النارِ فى مَوْضِعٍ

ومن حالب الشاة فى ناحيه

وراغيةٍ من وراء الخيام

تُجيبُ من الكلأ الثاغيه (1)

وأنتم بيثربَ أو بالعراق أو الشام فى الغُرَف العاليه

مُغَنِّيكمو مَعبدٌ والغريضُ وقيْنتُنا الضَّبُعُ العاويه

وقد تأكلون فُنونَ الطهاةِ ونأكل ما طَهَتِ الماشيه

ليلى : قد اعتَسَفَتْ هندُ يا بنَ ذريحٍ

وكانت على مَهدها قاسيه

فما البيدُ الا دِيارُ الكِرامِ

ومَنزلةُ الذِّمَم الوافيه

لها قُبْلةُ الشمس عند البُزوغ

وللحضَرِ القُبلةُ الثانيه

ونحن الرياحينُ مِلْءَ الفضاء وهنَّ الرياحينُ فى الآنيه

(1) الراغية : الناقة والثاغية : الشاة

ويقتلُنا العشقُ والحاضراتُ يَقُمْنَ من العشق فى عافية
ولم نصطَدِم بهموم الحياةِ ولم نَدرِ - لولا الهوى - ماهيه
وآنا نخف لصَيْد الظباء وآنا الى الأُسد الضارية

« هند — ساخرة »

وفى كل ناحيةٍ شاعرٌ يغنِّى بليلاهُ أو راويه

« تحاول ليلى أن تمد رحلها فتتألم وتستغيث »

ليلى : قيسُ ، إلىَّ قيس

هند : ما دهاكِ ليلى ما الخبرْ

ليلى : أحس رحلى حدِرت حتى كأنها الحجَرْ

هند : قد صحتِ قيسُ مرتين

ليلى : أو ثلاثا ما الضرر

هند متهكمة : اسم الحبيبِ عندنا نذكره عند الخدر (١)

ليلى : هند كفى دعابة إن هو الا اسمٌ حضر

« لنفسها »

(١) حدرت الرحل : نملت

يا قيسُ ناجَى باسمك القلبُ اللسانَ وعثَر

عبلة ضجرة : أماسوى هذا الحديثِ شاغلُ ؟

كيف طللْتَ اليومَ يا منازلُ ؟

« منازل — ضاحكا »

منازلُ اليومَ كأمس هازلُ   يشرَبُ أو يَطْعَمُ أو يُغازلُ !

هند : بخٍ ! كذا فلتكنِ الحياةْ   مُت يابعيرُ وابقَى يا شاهْ

أنغمست فى الترف الرعاةْ !

ليلى : وكيف طللِت اليوم سعدُ ؟ أهازلٌ

كَبِرك أم فى صالِح ورشادِ !

سعد : بل الحمدُ ياليلى سبيلى وديدْنى

حياتى بوادٍ والمُحُونُ بواد

صحبتُ زيادا طول يومى تلقفا

لأشعار قيس من لسان زياد

وإنَّ زيادا — منذ كان — لرائحٌ

علينا بشعر العامرىّ وعاد

ولولا زيادٌ ما تمثّل حاضرٌ بأشعار قيسٍ أو ترنم باد

« يبدو على ليلى شيء من الزهو فتتهامس الفتيات »

سلمى : انظرى هند ترىْ ليلى اكتست زهواً وكبرا

وتعالت كابنةِ النعمان أو كابنـة كسرى !

هند : لِمَ لا سلمى ، ألم يرْ وِعْ لها المجنونُ ذكرا ؟

عبلة : لِمْ إذن يا هندُ من قيسٍ ومما قال تبرا ؟

هند : عَبَثُ النِّسوة إنا نحن بالنسوة أدرى !

سلمى : سلوا الآن بشرا فيم أنفق يومه ؟

« أصوات » سلوه

هند : سلى ياليلَ عن يومه بشرا

ليلى : وهل يومهُ الا شؤونٌ كأمسه من الصيد ؟

هند : إن الصيد لذته الكبرى

بشر : نعم هو ملهاىَ الذى لا أمله

ولا النفسُ تُعطَى عن تناوله صبرا

ولو كان عيشى فى قصـــور أميّـةٍ
لعَلّمتُ فنَّ الصيـــد فتيانهَا الزهرا
وما أنا صيّادُ الأرانبِ مثلَهم
ولكن على حيّاته ألِجُ القَفـــرا

ليـلى : إذن هاتِ واصدُقْ بشرُ فى القول مرّةً
ولا تخترعْ أو تبنِ من حَجَرٍ قصرا !

بشر : دعى عنكِ هـذا السُّخْرَ ياليلَ واسمعى

ليـلى : تحدّثْ فـلا واللهِ لم أضمرِ السُّخْرا

بشر : بكَرتُ كدأبى اليومَ أبغى قنيصةً
ومَن يتصيدّْ يحسبِ الغُنمَ والخُسرا
(رأيت غزالا يرتعى وَسطْ روضـة
فقلت أرى ليلى تَراءت لنا ظُهرا) (١)

« هند — مشيرة الى ليلى »
وأىَّ الليـــالى بشرُ آنست ؟ هده

بشر : إذاشئت — أوهاتيكِ — أوحُرةًأخرى

(١) الأبيات التى بين الأقواس من شعر قيس

فقلتُ له ياظبىُ لا تخشَ حادثا

(فالك لى جارٌ ولا ترهب الدهرا)

(فما راعنى الا وذئبٌ قد انتحى

فأعلق فى أحشائه النابَ والظفرا)

(ففوّقتُ سهمى فى كتومٍ غمستُها

فخالط سهمى مهجةَ الذئبِ والنحرا)

ليلى صاحكة : أخى بشرُ لا شُلت يمينُك من يدٍ

ولا فَضَّ فاكَ الصبحُ والليلُ ما كرّا

سمعنا بإقدام اللصوص وفتكهم

فلم نر أدهى منك فتكا ولا أجرا !

ووالله لم تعصب لظبى ولم تثبْ

بذئب ولم تُعمِلْ خيالا ولا فكراً

أخذتَ فلم تترك لقيسٍ بضاعةً

سرقتَ لعمرى الظبيَ والذئبَ والشعرا !

« ضحك من الجميع »

حديثُ الظبيِ والذئبِ   وقيسٍ لستُ أنساه
زيادٌ عنــــه بيّانى   ولا ينبيك إلاه
رأى قيسٌ على رابيــــة   ظبيا فناداه
فألقى الظبيُ أذْنيهِ   ومسّ الأرضَ قرناه

« ثم تقول فى لوعة وصوت مخفوض وكأنما تحدث نفسها »

بروحى قيسُ ! هل راحت   ظباء القاع تهواه ؟
وهل يَرثى له الريمُ   ولا أرثى لبلواه

« تسترسل فى حديثها الأول : »

على فيه من العُشْبِ   بقايا صبغت فاه
رأى فى جيده قيسٌ   وفى عينيه ليلاه
فبينا هو فى الشوقِ   وفى نشوة ذكراه
حبا الذئبُ من الوادى   الى الظبى فأرداه
تعدّى بحَشا الظبى   غَــــداء ما تهنّاه
رماه قيس فى المقتل   بالسهم فأصماه

« بشر : مندفعا بحماسة ! »

أجل ياليلَ ! ما قلتِ   سوى شيء شهِدناه
وإن لم تدكرى القبرَ   ولا كيفَ خططناه
حفرنا القبرَ للظبيِ   وقمنـــــــا فدفناه
وصلَّينا على الميْتِ   وبالدمع سقيناه
فقولوا ولتقل ليلى   معى يرحمُه الله !

« أصوات بين الضحك والسخرية »

أجل بشرُ !

أجلْ بشرُ !

أجل يرحمه الله !

ابن دريج: بشرُ كفى هرلا وتخليطا كفى

ويابنةَ العم مضى الليلُ سُــدى

أُرسلنى قيسُ فلو أخــــبرتنى

متى مــنى بأمر قيسٍ يُعتنى ؟

بتنا نخــــافُ أن يحِلَّ خطبُه

وتبلغَ البـــلوى بقيسٍ المَدى

وقيسُ ياليلى و إن لم تجهلى زين الشباب وابنُ سيدالحمى

لم ندرِ فى حيِّك أو فى حيِّه فتى حكاه نسبا ولا غنى

ولا جمالا ، وهنا (ياليلَ) ما ترينَ أنت لا الذى نحن نرى

بشر ساخرا : بخٍ بخٍ ! ابنُ ذريح حاطبٌ

ابن ذريح : أسكت فلست للمروءات أخا !

ليلى عاضبة : فيم هذا الكلامُ يابن ذريح ؟

ابن ذريح : إتقى اللهَ واقصِدى فى التجنى

ليلى : ما تجنّيت

ابن ذريح : بل ظلمت ، دعيني

أحسنِ الذَّودَ عن صديقي وخِدنى

ليلى : أنا أَوْلى به وأحنى عليه لو يُداوَى برحمتي والتحنِّى

يعلمُ اللهُ وحده ما لقيس

من هوًى فى حوانحى مستكِن

إنى فى الهوى وقيسا سواء

دَنُّ قيس من الصبابة دَنِّى

أنا بين اثنتين كلتاهما النا ر فلا تَلْحَنى ولـكن أعِنِّى

بين حرصى على قَداســـة عرضى

واحتفـــاظى بمن أُحبُّ وصى

صنتُ منذ الحداثة الحبَّ جَهدى

وهْو مستهترُ الهـوى لمْ يَصُنِّى

قد تغنى بليــــلة العَيْلِ ، ماذا

كان بالغيــل بين قيس و بينى ؟

كل ما بيننا سـلامٌ وردٌّ بين عين من الرفاق وأُذن

وتبسّمتُ فى الطريق إليه ومضى شأنه وسرتُ لشأنى

« تهيب بالسامرين وقد بلغ بها الغضب أقصاه »

أوْغل الليلُ فلنقمْ

ابن ذريح — متوسلا »

بل رويدا واسمعى (ليلَ)

ليـلى : خل عنِّىَ دعنِى !

« تدخل خباءها بينما ينهض السامرون ولا يتثاقل منهم فى القيام »

« الا منازل — الهرج والأسف يسودان الجميع »



قد تغنى بليـلة الغيـل ماذا   كان بالغيل بين قيس وبيني ؟

(صفحة ١٤)

بشر : انفضَّ سامرُ ليلى   وكان حَفْلا كريما

سعد : قد فَضّه ابنُ ذريح   ففض عِقداً نظيما

أثار ليلى فهاجت   كما تنفِّر ريما

تُرى أتُبغِضُ قيسا

ابن ذريح : لا تقلبوا الحبَّ بغضا

ليلى العشيةَ عصبى   ويُصبح الصبحُ ترضى

سعد : أنعم (مُنازِ) مساءً

منازل : نُعِمتَ سعدُ مساءَ

هند : بشرُ مُسِّيتَ بخيرٍ

بشر : أنعمى هندُ مساءَ

هند . نحن يحوينا طريقٌ   فامضِ بلغّى الخِباءَ

سعد — ضاحكا

احذرى يا هند منه !

هند : أنا لا أخشى اعتداء

قد عرفتم وعرفنا   كيف يصطاد الظباء !

« تسمع ضحكاتهم من أقصى الطريق بينما يظهر »

« قيس وزياد من جانب المسرح الآخر »

قيس . سجا الليل حتى هاج لى الشعرَ والهوى

وما البيدُ الا الليلُ والشعرُ والحبُّ

ملأتَ سماءَ البيدِ عشقا وأرضَها

وحُمِّلتُ وحدى ذلك العشقَ يارب

ألمّ على أبيات ليلى بىَ الهوى

وما غيرَ أشواقى دليلٌ ولا ركبُ

وباتت خيامى خُطوةً من خيامها

فلم يشفنى منها جوار ولا قرب

إذا طاف قلبي حولها جُنّ شوقُه

كذلك يُطْغِي الغُلةَ المنهلُ العذب

يحن اذا شطت و يصبو إذا دنت

فياويح قلبي كم يحن وكم يصبو

وأرسلنى أهلى وقالوا امض فالتمس

لنا قبسا من أهل ليلي وما شبوا

عفا الله عن ليـلى لقد نؤتُ بالذى
تحمّلَ من ليلى ومن نارها القلب

« منازل — وقد سمع همهمة الصوت ورأى شبحيهما فى الظلام »

أرى شبحا مقبلا فى الظلام   وأسمع همهمة فى الدجى
هو ابن الملوَّح ذو الهُزالُ   عليه وسمُّ اضطراب الخُطا
عدوى المبين وما بيننا   ولا بين صاعيتنْا (١) جفا
روى شعرَه البدو والحاضرون   وشعرىَ لبس له من روى
وهام بليـلى وهامت به   لقد كنت أولى بهذا الهوى
تشرَّد مستعطما فى البلاد   وجُنّ فما ازداد الا بهى
وإنى لأُبدى الـه الوداد   وأخفى له فى الضلوع القِلى
وأحسدُه حسـداً ما علمت   أقيسُ الشـقى به أم أنا

« يتقدم منهما خطوات »

مَن الراكبُ الليلَ ؟ قيسٌ أخى ؟

قيس . منـازل ؟ ما أعجبَ الملتقى !

---

(١) صاعية الرجل قومه

منازل : أقيساً أرى فى طلال البيوت ؟

وعهدى بقيس حليفَ الفلا

قيس : منازل ، من أين ؟

منازل : من عندها من السمر الممتع المشتهى

قيس ـ حنقا : أمن عند ليلى تجرُّ الذيول

حديث لعمرُ أبى مفترى

منازل : بل الصدقُ ما قلتُ يا ابن الملوَّح

قيس : إحساً متى قلت صدقا متى ؟

وما كنت تصنع ؟

منازل ـ ساخرا : ما يصنعون لهوت لعمرىَ فيمن لها

وسامر ليلى كثير الزِّحام ولست تعدُّ شباب الحِمى

وليلى تُفيضُ على من تشاء رضاها وتحرمُه من تشا

زيادمغضبا: منازل ، قيسُ ، سبيلكَ قيس !

وكِلْ لىَ تأديبَ هذا الفتى

« منازل — وقد أخذ بلابيبه »

تؤدبُنى زيادُ وأنت طل لمجنون وراوية لهادى

وتُزْعِمُ أننى نِدٌّ لقيس

رضِيت من المصائب غيرَ هذى !

زياد : من قال ذا ؟ أنت لقيس نِدٌّ

لم يبق فيكِ ياحيـــــاةُ حِدٌّ

إمضِ بنا ناحيــةً يا وغد !

« يجره الى حيث تسمع أصواتهما من بعيد ثم تختفى »

« فيقبل قيس على خباء ليلى وينادى »

قيس : ليلى !

« المهدى : خارجا من الخباء »

من الهــاتف الداعى ؟ أقيسَ أرى ؟

ماذا وقوفُك والفتيان قد ساروا

قيس خجلا : ما كنتُ ياعمُّ فيهم

المهدى : دهشا : أين كنت إذن ؟

قيس : فى الدار حتى خلَتْ من نارنا الدار

ما كان من حطب جزْلٍ بساحتها

أوْدى الرياحُ به والضيفُ والجار

المهدى منادياً : ليلى ـ انتظر قيس ـ ليلى

« ليلى ـ من أقصى الخباء »

ما وراء أبى ؟

المهدى : هذا ابن عمِّك ما فى بيتهم نار

« تظهر ليلى على باب الخباء »

ليلى : قيس ابن عمى عندنا يا مرحبا يا مرحبا

قيس . مُتِّعتِ ليلى بالحياة وبَلَغتِ الأربا

« ليلى : تنادى جاريتها بينما يختفى ابوها فى الخباء »

عفراء

« عفراء ملبية نداء مولاتها : »

مولاتى

ليلى : تعالَىْ نقضِ حقا وجبا

خذى وعاء واملئيه لابن عمى حطبا

« تخرج عفراء وتتبعها ليلى »

قيس : بالروح ليلى قضت لى حاجةً عرضت

ما ضرها لو قضت للقلب حاجاتِ

مصت لأبياتِها ترتاد لى قبسا

والنار يارُوحَ قيسٍ ملء ابياتى

كم جئتُ ليلى بأسباب ملفقة

ما كان أكثر اسبابى وعلاتى

« تدخل ليلى »

ليلى : قيس

قيس : ليلى بجانبي كلٌّ شيء إذن حضرْ

ليلى : جمعتنا فأحسنت ساعةٌ تفضُلُ العمُرُ

قيس : أتجدِّين ؟

ليلى : ما فؤا دى حديدٌ ولا حجر

لك قلبٌ فسله يا قيس ينبئكَ بالخبر

قد تحملتُ فى الهوى فوق ما يحمل البشر

قيس : لستُ لـــيلاى داريا كيف أشكو وأَنفجِر ؟
أشرح الشوقَ كله أم من الشوق اختصِر ؟
نبِّنى قيس ما الذى لك فى البيد من وطر ؟
لك فيهـــا قصائدٌ جاوزَتْها الى الحضَر
كلُّ ظـــبيٍ لقيتَه صُغت فى جيده الدرر
أتُرى قد سلوْتنـــا وعشقتَ المهَا الأُخر ؟

قيس : غِرتِ لِيـــلى من المها والمهـــا منك لم تَغَر
حبّب البيدَ أنهـــا بكِ مصبوغةُ الصُّوَر
لستِ كالغِيـــدِ لاولا قمر البيـــد كالقمر

« ليلى : وقد رأت النار تكاد تصل الى كم قيس : »

ويحَ عيـــنىَّ ما أرى قيس !

قيس : ليلى

« ليلى : مشفقة » : خذ الحذر !

« قيس : غير آبه الا لما كان فيه من نجوى »

رُبَّ فجرٍ سألتُه هل تنفست فى السحر

ورياحٍ حسبتُها جرَّرَت ذيلكِ العطرِ

وغزالٍ جفونهُ سرقت عينكِ الحوَر

ليلى : اطرح النارَ يافتى انت عادٍ على خطر

لهبُ النار قيسُ فى كمك الأيمن انتشر

« قيس : مستمر بعد أن رمى النار من يديه : »

وذئابٍ أرقَّ ياليلَ من أهلكِ الغيرُ

أنِستْ بى ومرَّغت فى يدى الناب والظفرُ

ليلى : ويح قيسٍ تحرقت راحتاه وما شعرَ

قيس : انت أججتِ فى الحشا لاعجَ الشوقِ فاستعرْ

ثم تخشَيْنَ جمرةً تأكلُ الجلد والشعرَ

« يترنح قيس فى موقفه وتظهر عليه بوادر الاغماء » :

ليلى : فدَاكَ أبى قيس، ماذادَهاكَ؟ تكلم، أبنِ قيس، ماذا تجد

قيس : أُحسُّ بعينىَّ قد غامتا وساقىَّ لا تحملان الجسدْ

« يخر صريعاً الى الأرض فتتلقاه على صدرها صارخة »

ليلى : يا لِأبي للجارْ قيسٌ صريعُ النارْ مُلقىً بصَحن الدارْ !

« يخرج أبوها من الحماء على صوت استغاثتها »

أبي ها أنت ذا جئت أغثنِـــــا أبتِ أدركْ
لقد حُرِّق بالنــــارِ فما يصحـــو إذا حُرِّكْ

المهدى : يراانا الناسُ ياليـــلى

ليلى : أبى انْف الناسَ من فكرك
هنا لا تقعُ العـــيْنُ على غيرى ولا غيرك
ولا يطّلعُ إنســـانٌ على سرى ولا سرك
ولا أجدرُ من قيس باشـــفاقك أو برك
أبي صـــدرىَ لايقوى فأسندْه الى صدرك

« المهدى — وهو يتلقى عنها جسد قيس ويحاول انعاشه »

رعاكِ اللهُ ياليـــلى وكافاكِ على صـــبرك
أخافُ الناسَ فى أمرى واخشى القلبَ فى أمرك
وكم داريتُ ياليـــلى وكم مهّدْتُ من عذرك



أبى ها أت ذا حئت أغثنــا أت أدرك

(صفحة ٢٥)

ولستَ الوالدَ القـــاسى ولا الطامعَ فى مهرك

« يباهى قيسا فى غيبوبته »

أبا المهـــدىّ عوفيتَ ويا بورك فى عمـــرك

أرانى شـــعرُك الويلَ وما أرْوى سوى شعرك

كما لَدّ على الـكُره كلامُ الله المشرك !

« يتحرك قيس ويبدو عليه كأنما يفيق فينادى »

قيس

« قيس — يحاول الوقوف فتسنده ليلى »

لبّيك عمّ

المهدى : حسبُك فاذهب لا تطأ لى بعد العتبةِ دارا

ليــلى : أبتى لا تَجُرْ على قيس

المهدى : لمْ لا إن قيسا على القرابةِ جارا

ليــلى : أبتى ما نراه كالغُصْن الذا

وى نُحولا وكالمغيب اصفرارا ؟

وتأملْ رداءه ويديْه تجد النارَ أو ترَ الآثارا

أبتي دَعْه يسترحْ

المهدى : بل دعينا

لا تزيدى يا ليلَ سُخطى انفجارا

قيس : حسبُ ياليلَ ، حسبُ دلا لعمّى

وكفى حِلفةً له واعتـــذارا

عمُّ ماذا جنيت ؟

ليــلى : ماذا جنى قيس

المهدى : نسيتَ الرُّواةَ والأخبـــارا

قيس : إنهم يأفِكون يا عمِّ

المهدى : والغَيلُ أليلاً غَشِيتَه أم نهــارا ؟

ما الذى كان ليلة الغَيْل حتى

قلتَ فيها النّسيبَ والأشعارا ؟

قيس : لم تكنْ وحدَها ولا كنتُ وحدى

إنما نحن فِتيـــــةٌ وَعذارى

جمعْتنا خمائلُ الغيل بالليل كما يجمعُ الحمى السُّمّار

ليسَ غيرَ السلامِ ثم افترَقنا   ذهبتْ يمنةً وسِرتُ يسارا

المهدى : إمض ياقيس إمض لا تكسُ ليلى

كلَّ حينٍ فضيحةً وشنَارا

فكأنى بقصة النار تُروى   وكأنى بدلك الشعر سارا

وكأنى ارتديتُ فى الحى ذلا   وتجللتُ فى القبائل عارا

إمض قيس امضِ

قيس : عمُّ رفقا بليلى   وبقيسٍ ولا تكن حمارا

الحذَارَ الحِذَارَ من غضب الله   ومن سُخطه الحذار الحذارا

المهدى : إمص قيس امض جئت تطلب ناراً

أم تُرى جئت تُشعلُ البيتَ نارا ؟

« يخرج قيس »

« ستـــــــار »

الفصل الثاني

« طريق من طرق القوافل بين نجد ويثرب ، على مقربة من حي بني عامر حيث »
« تبدو مضارب هذا الحي على مدى البصر وعلى سفح جبل التوباد ـ قيس وزياد »
« جلوس الى جذع نخلة ، يستشرفان شبحا يسير نحوهما »

قيس : زياد ما ذلك ؟ مَن الجُوَيْرِيَه ؟

أتلك (بلهاء) ؟

زياد : أجَل قيس هَمَهْ

« تظهر بلهاء وعلى رأسها قصعة »

قيس : بلهاء كيف الحيُّ ؟ كيف أُمَيَّه ؟

« بلهاء — وهي تضع القصعة »

تســـأل عنكَ كما ســـألتَ

« تبدو على قيس كراهة للطعام وعزوف عنه »

زياد : بالله ياقيسُ إلا أكلت

« يشتد ميل قيس عن الطعام »

بلهاء هامسة لزياد : زيادُ ما ذاق قيسٌ ولا همّـــا

زياد : طبخُ يدِ الأمِّ يا قيسُ دُقْ مِمّا
الأمْ يا قيسُ لا تطبُخُ السَّمّا

« ينزع عن القصعة غطاؤها »

تعالَ تأمّلْ قيسُ ، تلك ذبيحةٌ

قيس : عسى اليومُ نحرٌ

زياد : أين نحنُ من الأضْحى ؟

قيس : أرى صُنعَ أمي يا زيادُ ، فَدَيتُها
روحي وإن حمّلتُها الهمَّ والبرْحا

سمحرنا الملهاء

زياد : ملهـــــــــاءُ ندني
ولا تكتمي عنا الحديثَ ولا الشرحا

ملهاء . لقـد مرّ عرّاف اليمامةِ بالحمى
فما راعنـــــا الا زيارتُه صُبحا

طوى الحيّ حتى جاء عن قيسَ سائلا
وأظهرَ ما شاءَ المودّةَ والنُّصحا

ولاحت له شاةٌ حَشُومٌ بموضعٍ
تخَيَّلُها ظلا من الليل أو جُنحا
فقال اذبحوا هاتيك فالخير عندَها
فقام اليها يافعٌ يُحسِنُ الذَّبْحا
فقال انزعوا من جُثّه الشاةِ قلبَها
فلم نألُ قلب الشاه نزْعا ولا طرْحا
فلما شوَيناها رَقَى بعزائمٍ
عليها وألقى فى جوانبِها المِلْحا
وقال اطلبوا قبساً فهذا دواؤه
كأنى به لما نناوله صَحّا

زياد : لعلّْ قيسُ بالشاة عساها تُذهبُ الحُبّا
فما العرّافُ بالمجهو ل لا علماً ولا طبّا
ولم تَعلَمْ عليه الميد تدجيلا ولا كذْبا
طبيبٌ جربَ الناسَ فى الصحراءِ والرَّطْبا
فذقْ قيسُ ولا ترتبْ بما قال وما نبَّا

وتلك الأمُّ ياقيس   أطِعْها تطِعِ الربَّا

قيس : زياد اسمعْ وكن عونى   وخلِّ اللومَ والعَتبا

إذا ما لم يكن بُدٌّ   فانى آكُلُ القلبا

زياد : قيسُ يبغى القلبَ يالـ   ـهاء أين القلب أينا ؟

بلهاء : هو عندى ويسيرٌ   ما اشتهى قيسٌ علينا

هو فى النساه

زياد : هُلمِّى   أحرجى القلبَ الينا

بلهاء : القلبُ ! أين القلبُ ؟ أيـ   ـن يا تُرى وضعْتُه ؟

يا ويحَ لى ! نسيتُ أنى   بيدى نزعتُه !

قيس : وشاةٍ بلا قلبٍ يداوونى بها

وكيف يُداوى القلبَ من لا له قلب !

« تسير بلهاء الى الحى ويظهر صغار من ناحية الحى يلهون فى طائفتين وإذ تقع »
« أبصارهم على قيس وزياد تغنى كل طائفة بغناء »

« الطائفة الاولى »

قيسُ عُصفورَ البوادى   وهـزارَ الرّبَواتْ

طِرتَ من وادٍ لِوادى   وعمرتَ الفلواتْ



« وشاة بلا قلب يداوونى بها وكيف يداوى القلب من لا له قلب »

(صفحة ٣٣)

إيهِ يا شاعرَ نجـدِ ونجيَّ الظَّبيـات
أضمرِ الحبَّ وأبدِ لأعفّ الفتيـات

« الطائفة الثانية »

قيسُ كشَّفتَ العذارى وانتهكتَ الحُرُماتْ
ودمَغتَ الحيَّ عارا في السنين العابرات
قد ذكرتَ الغَزْل دعوى واصطنعتَ الحلوات
صَلِيتْ ليلى ببلوى منك دون الفتيات !

« يلتقط قيس بضع حصوات من الأرض ويهم أن يحصب بها الصغار ثم يتردد »
« وينثر الحصا من يده ، بينما يظهر من جانب الطريق الآخر ابن عوف وكاتبه بسيب »
« قيس : مناجيا نفسه »

قيسُ لا ! سامحْ صغارا لا يُحسُّون الخطيئه
إنهم فيما أتوْه نَزَواتٌ بريئـه
لقِّنوهـا كلماتٍ نزِهاتٍ أو بذيئـه

« زياد : وهو يصرف الصغار »

إذهبوا عودوا الى آبائكم واذكروا قيسا بخير ياخُبُثْ
إذهبوا أوْحُوا الى أترابكم وليُبَلِّغْ حَدَثاً منكم حَدَثْ

سيطرَ الحبُّ على دنيـــــا كمو

كلُّ شيء ما خلا الحبَّ عَبَثْ

« يجرى الصغار أمام زياد مضطربين ثم يختفون عن الأنظار ، بينما »
« يستلقى قيس على الأرض فى شبه اغماء »

ابن عوف : الى نصيب وزياد يطارد الصغار »

انظرْ نُصيبُ صحةً وصبيه ورجلٌ يرمى الصغار بالحصا

نصيب . أرى أميرى نشــــأ تعلقوا

بابن سبيلٍ مُتعَبٍ واهى القُوى

ابن عوف: بل أمضِ سَلْ

نصيب : معترضا زياد »

من الفتى ؟

زياد : لنفسه وقد رأى ابن عوف »

ماذا أرى ؟ هذا أميرُ الصَّدَقات ههنا

« ثم يرد على نصيب »

قيسُ إمام العاشقين

ابن عوف: أيُّهم فهم كثير، كل قيس يهوى

زياد : أجلْ ولـكنّ الذى تُبْصِرهُ أرفعُهم ذكرا وأعلاهم سنى

ابن عوف : لعله قيسُ الذى نعرِفهُ لقد رَوَيْتَ شعرَه فيمن رَوى

فأين ظله زياد

زياد . أنا ذا أنا الذى يتبعهُ حيثُ مشى

ابن عوف . أنت الذى تهدى لـكلّ قريةٍ

مُجاجةَ النحل ونفحةَ الرُّبا

ما بالُه يَطَا الترابَ حافيا ويقطعُ البيدَ مُمزَّق الرِّدا

خُذ يا نُصَيْبُ بُردتى فغطِّه لا يلحقنَّه من العُرِي أذى

زياد . إحفظ عليك البُرْدَ ياأميرُ لا فقرَ اليه يابن سيد الحمى

. إن لقيس من ثياب الوشْيِ ما يفْـنَى به العمرُ وما يُعيي البِلى

« ابن عوف : مناجيا نفسه »

ياويحَ قلبى ماخلا من قسوةٍ ما بالُه رَقَّ لقيسٍ ورثى

« يقبل على قيس »

قيسُ بُنَىّ

زياد . هو فى إغماءةٍ من وَجْده وما أظنـه صحا

« يسمع صوت حاد من ناحية **نجد** ، ويتعالى الصوت قليلا قليلا حتى »
« يظهر الحادى ومن ورائه قافلة تسير الى المدينة ثم يذوب الصوت »
« قليلا قليلا حتى ينقطع »

أنشودة الحادى »

يا نجـــدُ خُذْ بالزمامْ ورحِّبِ
سِرْ فى رِكاب الغمامْ ليثربِ
هـذا الحُسيْنُ الامامْ ابنُ النبى
النورُ فى اليـــد زادْ حتى غَمَرْ
أخْــذُ الحيافى الوهادْ أحـدُ القمر
أخْد جَمَالَ السوادْ زينَ الحضرْ
ابن النبى

ابن عوف : سمعتمو ؟ يا لكِ من رنة حادٍ مُطرِبِ
زياد . يا ليت شعرى ما الركا ب مَنْ لواء الموْكِب
نصيب . قـد بين الحادى فقل أصمٌّ أنت أم غـــبى؟
هــــذا إمامُ العرب هـذا الحُسينُ ابنُ النبى
هذا الزكىُّ ابنَ الزكىّ الطيِّبُ ابنُ الطيب

عارَضَنا الحسينُ في طريقــــه ليــثرب
هــدا سنا جبينِه مِلْءَ الوهاد والرُّبى
قــد حلَّ حاديه جــلا لَ القارئ المطرِّب

« ابن عوف هامسا الى نصيب »

نصيبُ صه لا تَسلكنْ بنا مسالكَ التُّهَمْ
ولا تَظاهرْ بالهــوى لوارث الميت العلَمْ
إحذرْ جواسيسَ ابنِ هندٍ وعيونَ ابن الحَكَمْ
نحن رجالُ دُولةٍ قوّامةٍ على الأمم
ليس بعينها عمًى ولا بأذْنها صَمَمْ
تسمع في ظل القصور همسَ رُعيانِ الغنم

« الى زياد مشيرا الى قيس »

زياد انظرْ فما انفكّ صريعَ الوجدِ والذكرى
كما مرّ بنا الركبُ الحسينيُّ به مرّا
فلم يشغلْ له بالا ولم يوقِظ له فكرا

زياد . رويدا سيــدى مهلا ولا تستغربِ الأمرا



« اصيب صه لا تسلكن   بنا مسالك التهم ! »

(صحيفة ٣٩)

لقد سقناه بالأمسِ لحجِّ الكعبةَ الغرّا
فلما لمس الركنَ ومسّتْ يدُه السِّترا
وقلنا الآنَ من ليلى ومن فتنتها يبرا
سمعناه ينادى اللّه من ساحته الكبرى

ابن عوف : وماذا قال !

زياد : ما تابَ من العِشق ولا استبرا
ولكن قال يا ربُّ ملكتَ الخيرَ والشرا
فهاتِ الضرَّ إن كان هوى ليلى هو الضرا
وإن كان هو السحرَ فلا تُبطِلْ لها سحرا
ويا ربِّ هبِ السلوى لغيرى وهبِ الصبرا
وهبْ لى موْتةَ المُضنَى بها لا ميتةً أخرى

« تقبل على قيس وتميل عليه بحنان »

حنانيكَ قيسُ إلامَ الدهول !
أفقْ ساعةً من غواشى الخَبَلْ
صليلُ البغال ورَجْعُ الحُداءِ
وضجةُ رَكْبٍ وراء الجبلْ

وحادٍ يسوق ركابَ الحسيْن

يهزُّ الجبالَ إذا ما ارتحلْ

فلم يبقَ ماشٍ ولا راكبٌ على نجدَ الا دعا وابتهلْ

فقمْ قيسُ واضرعْ مع الضارعين

وأنزلْ بنجدَ الحسينِ الأمل

« يسمع صوت حاد آخر قادما الى نجد من ناحيــة يثرب ، على »
« رأس قافلة اخرى وتمر هذه القافلة كما مرت الأولى »

« أنشودة الحادى »

ـلا هـلا هيّا * إطوى الفلا طيّاً * وقرّبى الحيّا * للنازح الصبِ
لا حلَّ فى البيدْ * شجنةُ الترديدْ * كربةِ العرّيدْ * فى المنزِ الرّطْب
ح أم عنّى * أم للحمى حنّا * جُلَنْجلٌ رنّا * فى شعَب القلب
لا هلا سيرى * وامضى بتبسير * طيرى بنا طيرى * للمـاء والعشب
رى اسقى الميلا * وأدركى الغفْلا * العهدَ من ليلى * ومنزلَ الحب
ه يا حادى * فتّشْ بنوْادِ * فالقلبُ فى الوادى * والعقلُ فى الشعب
قمرا يبدو * مَطلعهُ نجدُ * قد صنع الوجدُ * ما شاء بالركبِ

« يفيق قيس ثم يتلفت مصغيا الى الحداء »

قيس :

ليلى ! مناد دعا ليلى فخفّ له نشوانُ في جنبات الصدر عِربيدُ

ليلى ! انظروا البيدَ هل مادت بأهلها وهل ترنّمَ في المزمار داودُ

ليلى نداءٌ بليلى رنّ في أذني سحرٌ لعمري له في السمع ترديدُ

ليلى تردّدُ في سمعي وفي خلدي كما تردّدُ في الأيك الأغاريدُ

هل المنادون أهلوها وإخوتُها أم المنادون عشاقٌ معاميدُ

إن يشركوني في ليلى فلا رجعت جبالُ نجدٍ لهم صوتا ولا البيدُ

أغيرَ ليلاى نادوْا أم بها هتفوا فداء ليلى الليالى الخُرَّدُ العيدُ

إذا سمعت اسمَ ليلى ثُبت من خَبَلى وثابَ ماصَرعتْ منى العناقيدُ

كسا النداءَ اسمُها حسنا وحبّبه حتى كأن اسمَها البشرى أو العيد

ليلى ! لعلّى مجنونٌ يُخيّلُ لى ؟ لا الحىُّ نادوا على ليلى ولا نُودوا

ابن عوف :

لا تكتئبْ وتعالَ ياقيسُ استرحْ مما تكابد في الهوى وتلاقى

قيس :

هل أنت آسٍ يا أميرُ جراحتى أم أنت من سحر الصبابة راق؟

ابن عوف :

بل من رُواتك قيسُ من زمنٍ مضى لم أخلُ قيسُ عليك من إشفاق

قيس :

قل للخليفـــة يا بنَ عوفٍ فى عدٍ منذا أباح له دمَ العشاق ؟

هدَرتْ حكومتُه دمى فتحرَّشتْ بدمٍ على سيف الجفون مُراق

ابن عوف :

أرَضيتنى عند الخليفة شافعا ؟ يا قيس

قيس : فى أنفه : لا والواحدِ الخـــلاق

بل عند ليلى فامض فاشفع لى لدى ليـــلى وناشِد قلبهـــا أشواقى

جئها فذكِّرْها العهودَ وحفظها واذكرْ لها عهدى وصِفْ ميثاقى

ليلى إذا هى أقبلتْ حقنتْ دمى كرما وفكَّتْ يا أميرُ وَثاقى

ابن عوف :

الآنَ قيسُ اذهبْ فبدِّلْ حلةً وتردَّ غيرَ ثيابكَ الأخلاق

فالصبحَ تدخلُ حىَّ ليلى فى رُكْبى وبين بطانتى ورفاقى

قيس الى زياد :

أسمعتَ ماقال الأميرُ ؟ زيادُ ، طِرْ نحو الحمى بجناحىْ المشتـــاق

إذهبْ وسلْ أمى أعزَّ ملابسى من كل شامىٍّ وكلِّ عراقى

واذكرْ لها فضلَ الأمير ، ولم تزلْ نِعَمُ الأمير قلائدَ الأعنـــاق

« يسير زياد نحو الحى بينما يتمسح قيس بابن عوف كالطفل »

شكرا لصُنعكَ يا أميرُ ودُمتَ مَقصودَ الرحابْ

عجّلْ أمير

ابن عوف ضاحكا : بل انتظرْ أنسيتَ يا قيسُ الثيابْ ؟

قيس : مَنْ مُبلِّغٌ أمى الحزينةَ أن عقلى اليومَ ثابْ ؟

ومَن البشيرُ اليكِ يا ليلى بقيسٍ فى الركابْ ؟

اليومَ أهـــــلا بالحيَاة ومرحباً بكَ يا شبابْ !

« ستـــــار »

الفصل الثالث

« قطعة من الصحراء تبدو فى يسارها طائفة من مضارب بنى عامر »
« ممتدة الى ماوراء اليسار على سفح جبل التوباد — خباء مضروب »
« الى يمين هذه الطائفة من المضارب كأنه نهاية خيام الحى — على »
« اليمين أشجار بان يقف فى ظلها ابن عوف وحاشيته وقيس »
« وزياد »

ابن عوف : تراءى الحىُّ للركبِ وأشرَفْنا على الشِّعبِ
أفِقْ قيسُ أما فى رؤ ية الخيْمات ما يُصبى !
ألا تهتِفُ بالشكوى الى ليلى وبالعتْب

قيس : ديارَ الحى من ليلى سلامٌ من شجٍ صَب
على الحى على الدار على ليلى على الحب
غدا الركبُ على طيبٍ كريح المندَل الرّطب
فيا ليلى عسى اليوم أُبلُّ الشوقَ بالقرب
عسى الخطْبَةُ لا تنزلُ فى ناديك كالخطب
عساهم لا يقولون فتى مشترَكُ اللبِّ

ولا يذهبُ إحسانى ولا يبقى سوى ذنبى
يقولون بها غنىّ لقد غنّيتُ من كربى
سلى تُربك كم مرّعت خــدّىّ على التّرب
وكم جُـدتُ علَى الرمل ولم أبخَلْ على العُشب
بدمعٍ مثل دمعِ الثُّــكلِ مغروفٍ من القلب

« يتطلع ابن عوف الى ناحية الحى »

ابن عوف: قيسُ انتبهْ قيس

قيس : مَن المنادى !

ابن عوف : الحىُّ فى الســلاح سَدَّ الوادى
وأبُ قيسُ بعد حينٍ غاد على خصوم لُدُدٍ شِــداد
فالقَ الرجالَ صاحىَ الفؤاد لاتَلْقهم مُضيّعَ الرشاد

« قيس : متطلعا كذلك »

أتُبصِرُ يابنَ عوفٍ حىّ ليلى تَدجّج فى السلاح ولا تراها!
فما لى لا أُحقِّقُ غيرَ ليلى وإن كثُر السوادُ لدى حماها
لقد ألقَى هوى ليلى حجابا على عينى فلستُ أُرى سواها
و بغضتْ النصيحَ الىّ ليلى وسدّ مسامعى عنه هواها



« أتبصر يا بن عوف حى ليلى تدجج فى السلاح ولا تراها ؟ »

(صفحة ٤٧)

« يسمع من بعيد ومن ناحية الحى لجب وقعقعة »
« سلاح ويقترب الصوت ويتمــالى شيئاً فشيئاً »

أرى حىّ ليلى فى السلاح ولا أرى ... ســلاحا كهجر العامريّة ماضيا

دمى اليومَ مهدورٌ لليلى وأهلِها ... فداءٌ لليلى مُهدَراتٌ دمائيا

لىَ اللهُ ! ماذا منكِ ياليلَ طَاف بى ... وما دلك الساقى وماذا سقانيا !

دعونى وما عندى لليلى أقولُه ... لليلى واستنشى الذى عندها ليا

أهيمُ فاستعدى نهارى على الجوى ... وأقبعُ ليلى أستجيرُ القوافيا

(فما اشرِفُ الأيفَاعَ الا صبابةً ... ولا أُنشدُ الأشعارَ الا تداويا) .

إذا الناسُ شَطرَ البيت ولّوا وجوهَهـــــم تلمستُ رُكنىْ بيتها فى صلاتيا

(أُصلّى فما أدرى إذا ما ذكرتُها ... أثنتَين صلّيتُ الضّحى أم ثمانيا)

توارتْ وراءَ الجَمْع ليلى فخانها ... فمٌ كانسام الصبح يأتى التواريا

وطِيبٌ به خُصّتْ حوى الطيبَ كلَّـــــه فقُلْه الاقاحى أوفقُلْهُ الفواغيا

فأحسستُ من فرْعى لسانىّ هزّةً ... كأن عياناً منكِ لاقى عيانيا

دعونا وما يبقى إذا ما فنيتُموا ... فوالله ماشىءٌ خلا الحبَّ باقيا

مشى الحبُّ فى ليلى وفىّ من الصِّبا ... ودبّ الهوى فى شاءِ ليلى وشائيا

وإنى وليلى للأواخر فى غدٍ ... لشُغْلٌ كما كنا شغلنا الأواليا

« يبدو على وجهه الاصفرار والجهد ثم يترنح فيتلقاه »

« زياد — تسمع أصوات الحي من قريب »

ابن عوف: زيادُ أَدرِكْه أَدرِكْ   إني أرى الداءَ عادَهْ

لقد تضاءل قيسٌ   واصفرَّ مثلَ الجراده!

وليس قيسٌ بملقٍ   إلا إلى الملك قياده

الآن أسعى لقيسٍ   سعيا أخافُ فسادَه

فَمِلْ بنا وبقيسٍ   حتى يُصيبَ رشادَه

« يحملون قيسا ويختفون به وراء شجر »

« الباب، وتظهر طلائع الحي من اليسار وعلى »

« رأسها المهدي ومنازل، وكلهم شاكي السلاح »

المهدي:

ياقومُ إن البغيَ شرٌّ مركَبُهْ   والخيرُ في جانب من يُجَنِّبُهْ

هذا ابنُ عوفٍ قد أطلَّ موكبُه   وإن قيساً في الركّاب يصحبُه

جاء يرومُ صهرَكم ويخطبُه   وقد علمتمْ كيف ساء مذهبُه

وكيف طال بابنتي تشبُّبُه

صوت: كلُّه الى سيوفِنا تؤدِّبُهْ   لقد وجدناه وكنا نرقُبُه

المهدى : لا ، دمُ قيسٍ دمُنا لا نَقرَبُهُ يكفيه منا أننا نُخَيِّبُه
ونَصرِفُ الأميرَ عما يطلبُه

صوت آخر: شيخَ الحمى لا تضعُفِ ولا تردَّدْ وقفِ
ذُدْ عن عقيلة الحمى وامنعْ حماضَ الشرَفِ
لا تُصغِ للشافع فى قيس ولا المستعطِفِ
ليس ابنُ عوفٍ فى الذى سعى له بالمنصِفِ
أبالأميــر بعــد ما أجار قيسا تحتفى !
لاَ تخشَ بأسه ومن رجــــاله لا تخف
نحن كعثمانَ وليـــلى بيننا كالمُصحَفِ

« يظهر ابن عوف وحاشيته من وراء الشجر ومعهم زياد »

ابن عوف : عِمْ أبا ليــــلى صباحا

المهــدى : عِمْ صباحاً يابنَ عوف

ابن عوف : قل لهم يُلقُوا السلاحا ليس ذا مَوْطِنَ خوفْ

صوت من الحي :

يا بنَ عوفٍ يا أميرْ ليس ذا شأنَ الوُلاةِ

كيف تَحمى وتُجيرُ مُستديحَ الحُرُماتِ ؟

ابن عوف: عامرُ يا أحاودَ البطاح وأسمحَ الناس بُطون راح

مالى وللسيوف والرماح ؟ ضيف أتاوما ومن السَّماح

رَدكُ وجهَ الضيف بالسلاح ماجئتُكم يا قومُ للكفاح

بل جئتُ للتوفيق والإصلاح

« تحدث ضجة فى جانب الحى وتصايح وتهامس »

« ثم يلقى كثير منهم السلاح ويغمد السيوف »

صوت من الحى :

يا أبا ليلى بليلى جُدْ لقيسٍ بالحياة

إنه شاعرُ نجدٍ ونَجِيُّ الطّيّباتِ

صوت آخر: قيسُ أخٌ وابنُ عمٍّ وليس أهلا لذَمٍّ

نجمٌ أضاء بنجد سما على كل نجم

هبوه جُنَّ بليلى ليس الغرام بجُرم

« منازل : حيث يستقبل الجمعين خطيباً »

إن قيساً معشرَ الحى أخٌ وابنُ عمٍّ أفمنه تبرأونْ ؟

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل : أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً شاعرُ البيد الذى لا يُجارَى أفأنتم مُنكِرونْ ؟

أصوات . لا وربِّ البيت

منازل : أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً سيدٌ من عامرٍ وابنُ سادات ، أفيه تمترون ؟

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل : أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً قد بنى المجدَ لكم ولمجدٍ أبقيسٍ تكفرون ؟

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل : أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً كاملٌ فى عقله أوَ آنستم على قيسَ الجنون ؟

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل : أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنون
أنا لم أعدِلْ بقيسٍ شاعرا لا ولا أنتم بقيس تعدِلون

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل :

أصغوا لي إذن ثم ظنوا كيف شئتم بي الظنون
أنا في وُدي وإعجابي به لا يدانيني الرواةُ المعجَبون
شعرُه يبقى ويفنى غيرُه ليس كلُّ الشعر ترويه القرون
شعرُ قيس عبقريٌّ خالدٌ ليتـه لم يتحلَّلْه المجُون
ولو أن المتحى شاعرٌ غيرُ قيسٍ أوشك الخطب يهون
رُبَّ شعرٍ قال في ليلى ، به هتف البدْوُ وضجَّ الحاضرون
إنني أخشى عليكم عارَه رُبَّ عارٍ ليس تمحوه السّنون
ضجرتْ ليلى وضجّت أمُّها وأبوها وتأذّى الأقربون
وغَدا كلُّ فتى من عامرٍ حين يلقى الناسَ ، محنيَّ الجبين

« أصوات كثيرة »

هو ما قلت

منازل : إذن ما بالُكم لم تثوروا ، ما لكم لا تغضبون؟
هو ذا قيسٌ مع الوالي أتى يطأُ الحيَّ وأنتم تنظرون
وأبو ليلى امرُؤٌ أدرِي له رِقَّةَ القلب وأخشى أن يلين

بعدَ حينٍ يعبثُ القومُ بكم　　ومن الحى بليلى يخرجون

آن يا قومُ لكم أن تعلموا　　أن قيساً هتك الخدرَ المصون

قيسُ لم يترك لليلى حُرمةً　　ماالذى أنتم بقيسٍ فاعلون!

صوت : ماجِنٌ لا بدّ من تأديبه

صوت آخر : إن بالسَّوْط يُرَبّى الماجنون

صوت : نأخذُ الحىَّ عليه

آخر : ولنقفْ　　دون ليلى وحماها كالحصون

منازل : حلَّل السلطان بالأمس لكم　　دمَ قيسٍ ما الذى تنتظرون!

صوت : حلَّل السلطان بالأمس لنا　　دمَه

« أصوات أخرى »　　إنا بقيسٍ فاتكون

« ضجيج واندفاع »

صوت : مُنازِ يابنَ العم ماهذا الخبرْ!　　رفعتَ قيساً فجعلتَه القمرْ

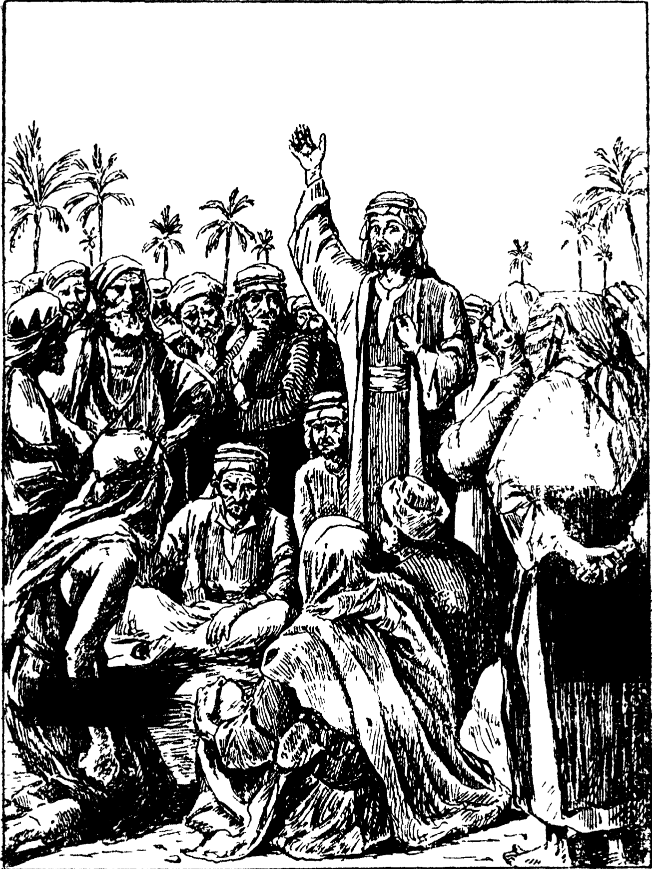
والآن أغريتَ بقتله الزُّمَرْ　　كفعل جزار اليهود بالبقر

برّأها من العيوب وعقَرْ!

« يصعد بشر منبرا للخطابة فيجتمع حوله جماعة من الناس »

قائل : إرجعوا يا قومُ هذا منبرٌ　　وخطيب

٣٣ ـ ١١



« حلل السلطان بالأمس لكم دم قيس ما الذى تنتظرون ؟ »

(صفحة ٥٥)

يسأل أحدهم: ليت شعرى من يكونْ !

آخر : أو أعمى أنت هذا بشرُ

آخر : هل يحسن الخُطبة بشرٌ و يُبين

« يحاول منازل أن ينسل من الجماهير »

بشر :

قف منازِ اسمعْ سمعتَ الرعد من حابىْ صاعقةٍ فيها المَنون

وسمعتَ الذئبَ فى جوْز الفَلا وسمعتَ الليثَ فى جوف العرين

أخطيبٌ أنت أم خطبٌ و إن لم تَهُن والخطبُ أحيانا يهُون

منازل صائحا: بشر . . .

بشر : قف !

منازل :

مالك يا بشرُ ولى ؟ إن حربَ الأهل والصحب جُنون

بشر :

لِمْ إذن حاربتَ قيساً لم تصن حرمةَ ابن العم أو حقَّ الخَدين؟

منازل : قلتُ بشرُ الحق

بشر : خلِّ الحق ما أنت والله على الحق أمين

إنما أنت لقبسٍ حاسدٌ   منطوى الصدر على الحقد المَهين
كلما حدّثتَ عنه عامراً   قرأتْ فى وجهك الداء الدفين
ترسِلُ الرفرة نتلو أختَها   وتَفُشُّ الصدر من حين لحين

يا منازِ يابن عمّى أصغ لى
أنت دونٌ أنت دون أنت دون !

منازل : دعونى

بسر بن المنذر : دعونى فلا بدَّ لى

رجل : أناتَك   لا بد أن   أقتله

منازل : دعونى

بشر : دعونى

رجل : دعوه اتركوه

آخر : ومن كتَّفَ النذلَ أو كبّله ؟

منازل : دعونى

رجل : دعوه

آخر : كلا البطلين يقولُ الوعيدَ ولن يفعله

بشر : دعونى

رجل : تقدَّمْ

منازل : دعونى

رجل : انطلق

بشر : دعونى

رجل : حثْه

منازل : دعونى

رجل : إمش لهْ

آخر : تنحّوْا وحلّوا سبيليْهما ولا تخشوْا الوقعةَ المقبلهْ

بشر : منازلُ فى عقله كاملُ

منازل : وعقلك يا بشرُ ما أكملهْ

بشر : أتنزو على الحى نزْوَ الديوك وتقفزُ كالأكبش المرسلهْ

وتهلقُ رأسى كرُمانة وأفلقُ رأسك كالحنظله

فماذا يردُّ عليك العويلُ وماذا انتفاعىَ بالولولهْ ؟

زياد : منازلُ كنت كثير الكلام ووالله ماقلتَ الا الكذبْ

صوت :أتزعمه كاذبا يازيادُ وقـــد ذاد عن حُرُمات العربْ ؟

زياد : رويدكَ لا تنخدِع يافتى ولاتأخذ الأمرَ دونَ السببْ

فلم يبعِ الا خداعَ الجموع وجلبَ الظنون وخلْقَ الرِّيبْ

وأثّر فيكم وفى آخرين وأفرغ فيكم سُمومَ الرُّقُبْ

صوت :منازلُ دافعَ عن سُنَّةٍ مُعظّمةٍ من قديم الحِقب

زياد : تأمل منازلُ سُخْطَ الجموع وجهلَكَ ماذا عليهم جلَبْ!

أحل قد غصبتَ ولكنما لنفسك لبس لليلى الغضب

تحضُّ على قَتل قيسَ الرحالَ لتحظى بليلى إذا ما ذهب

أصوات: يُريدُ ليحظى بليلى ؟

زياد : نعم !

صوت : تكلمْ

صوت آخر: أبنْ

ثالث : إن هذا عجب !

زياد : ألمْ يَكُ يَغشى النَّدِىَّ ويطلبُ ليلى أشدَّ الطلب؟

« صوت يخاطب المهدى »

إذن كان يخطبُ ليلى ؟

المهدى : نعم !

صوت : إذن قد تجنّى

صوت آخر : إذن قد كذب !

زياد : منازلُ قل لهموكم صرعـ ـت لليلى وكم أعرضتْ لم تُجبْ

صوت : منازلُ اخدعْ وغُشَّ غيرى

آخر : قد حازَ الا علىّ كِذْبُكْ !

ثالث : ما أنتَ إلا جوٍ شقىٌّ تحبُّ ليلى ولا تُحِبُّكْ !

« تحدث ضجة حول منازل ويقف ثلاثة رجال فى ركن قصى من أركان المسرح »
« يتحدثون »

الأول : قد اختلف الحىُّ فى أمر قيسٍ وليلى وكلٌّ له مذهبُ
وأنت الى أىِّ رأى تميلُ وأىَّ الفريقين تستصوِبُ

الثانى : إذا صدقت نظرتى فى الأمور ولى نظرةٌ قلما تكذِبُ
منازلُ غادٍ على خيبةٍ وقيسُ على فضله أخْيب
وقد يُخفقان ويلقى النجاحَ غريب له فيكمو مأرب

الاول . غريب ؟

الثاني . أحل من نواحي ثقيف

الاول : ومن ذاك ؟

الثاني : وردُ

الاول : وما يطلب !

الثالث : رأيته في الحي يمشي الحياءَ وقيل أتى عامرا يخطبُ

الاول : وليلى ابنة الشيخ ما رأيُها أمامن حساب لها يُحسب؟

الثاني : أراها وإن لم تحطّ الشبابَ عجوزاً على الرأي لا تُغلب
تصون القديمَ وترعى الرميمَ وتُعطي التقاليدَ ما توجب
وبالجـــــاهلية إعجابُها إذ قل بالسلف المعجَب
ومن سُنّة البيد بعضُ الأكفّ من العاشقين اذا شبّبوا
فلا تعجبوا إن جرى حادثٌ يُحدث عنــه ويُستغرب
وإن رضيت وردَ بعلا لها وقيسُ الأحبُّ لها الأقرب
فيا طالمــا التمست مهربا وأرضُ ثقيفٍ هي المهرب

منازل : بني عامر لا تُضيعوا الحُلومَ فان الأناة بكم أجملُ

هبوا لىَ آذانكم إننى أجدُّ وصاحبُكم يَهزِلُ

خطبتُ وأخطبُ ليلى غدا وما لىَ يا قومُ لا أفعلُ

وقد نُعرِضُ اليومَ ليلى فلا أضيقُ ، عسى فى غدٍ تُقبِلُ

فما قيسُ أجدرُ منى بها ولا هو خيرٌ ولا أفضلُ

زياد : إليك منازلُ ! لا تجترئْ بقيسٍ وقد [illegible] المنزلُ !

ولا يستوى الشاعرُ العبقرى ومن هو من نافلٍ أنفلُ !

منازل : وما أنت ؟ بيِّنْ لنا يا زياد

« زياد — ممسكا بذراع منازل »

ستعلم منِّى ما تجهل

هلمَّ منازِ . هلمَّ الصراعْ ! وودِّعْ ضلوعَكَ وانْعَ الذراعْ

منازل : خلِّ زيادُ حلِّ عن ذراعى

زياد : سألتَ ما أنت ؟ فاصغِ لداعِ

إنى انا مُمَزِّقُ الأضلاع !

« ثم يجره من ذراعه ويمضى به الى خارج المسرح »

صوت : ماذا يكون يا ترى ؟

آخر : هيّوا نرى هيّوا نرى

« آخر وهم يتدافعون »

زيادُ غـــــيرُ هازل

آخر : نوحوا على منــــازل

آخر : حمــــامةٌ وبارـــى !

آخر : هلكتَ يا منـــازِ !

آخر من بعيد : إهرب من الهزازِ

« يخلو المسرح الآن الا من المهدى وابن عوف »

« وتصيت ثم تسمع صرخة من وراء الشجر »

مهدى : ما بقيسٍ يابنَ عوف ؟

ابن عوف : انه مغمّى عليــــــه

مهدى : قيسُ لا بأسَ عليــك كبِّروا فى اذُنيْه

« صوت من وراء الشجر »

الله أكبر الله أكبر

« ابن عوف لنفسه »

سدًى كبِّروا ماأُذْنُ قيسٍ مفيقةٌ وإن سكبوا فيها أذانَ بِلال

ولكن على ليلى يُفيقُ وشبهِها إذا مابدتْ ليلى بشكلِ غزال

ويصحو على ليلى إذارددّاسْمَها وراءَ بُيوتٍ أو وراءَ رِحال

المهدى :

دَمُ الوُدّ والقُربى و إن كان ظالما عزيزٌ علينا أن نراه يسيلُ
و إنى لانسانٌ و إنى لوالدٌ ولى مذهبٌ فى الوالدين جميل
فرفقا بقيس يا أميرُ ونَحِّه بعيدا لعل الشرَّ عنه يزولُ

ابن عوف :

أناةً أباليلى وحِلما ولا يَكنْ عليك لطغيان الظنون سبيلُ
رددتم ركابى واتهمتم زيارتى وأجلبَ فِتيانٌ وضجّ كهول
تأملْ تجدْ جَمْعا مَغيظا وكثرةً تصولُ وما تدرى علامَ تصول!
رءوسٌ تنزّى الشرُّ فيها وراءها نفوسُ ذئابٍ ما لهنَّ عقول
تَطَلَّبُ أن يُلقى اليها بجُثَّةٍ على غير جوعٍ أو يُساقَ قتيل
نواظرُ ما يأتى به اليومُ من دمٍ و إن لم يُساورْها صدًى وغليل
نزلتُ فلم أُكرَمْ فهل أنت مُتبعى وقومُك نارَ الطَّرْدِ حين أميل؟
أبَيْتُمْ علىَّ القولَ قبل استماعه فلم تُنصفوا والمنصفون قليل
فهل لى أبا ليلى بناديك وقفةٌ فان الذى قد جئتُ فيه جليل
وما أنا مَرْءُ السوءِ أو رجُلُ الأذى ولكنْ سفيرٌ خيِّرٌ ورسول

ولم أتخذْ جاهَ الأمورِ ذريعةً ألا إنما جاهُ الأمورِ يزول

المهدى :

نقبتم بحر يا وُلاةَ أميةٍ ولا زال يقوى ركنُكم ويطول

« مشيراً الى باب الخباء »

هنا مجلسٌ نأوى اليه لعلنى أقولُ صواباً أو عساك تقول

وثَمَّ ترى ليلى وتسمعُ قولَها وليلى لها رأىٌ يُساقُ جميل

فسلْها عسى أن نهتدى ما حوا بها إباء ورد أو رضى وقبول

« يهم ابن عوف بخلع نعليه »

المهدى : أتخلعُ نعليك؟ لا يابنَ عوف نَشَدتُك بالله لا تفعلِ

أتمشى الى منزلى حافيا فديتُك ، من أنا؟ ما منزلى؟

ابن عوف :

خلعتُهما وانتعلتُ الترابَ الى خيمةِ السيّدِ المفضلِ

« نصيب : متدخلا »

دعْه يا مهدىُّ يفعل إنما يرمى لمعنى

كالحسيْنِ بنِ علىٍّ هو بالعشاقِ يُعنَى

الحسينُ انتعل الترب ... الى والد لُمنَى
وراه حافيا فى سا ... حة الدار فجُنّا
قال لا أملك يابن ... المصطفى بنتاً ولا ابنا
أنت فى الدار أميرٌ ... فبما شئتَ مُرنا

« لمعيه »

يادهر دُرْ بمـــا تشا ... ويا حوادثُ اهزلى !
ويا وظيفةُ اعربى ... ويا حرايةُ ارحـــلى
يبغى ابنُ عوفٍ أن يكو ... نَ كالحسين بن على !

« يدخلان وينادى المهدى : »

هو الضيف ياليل هاتِ الرُّطبْ ... وهاتى الشواءَ وهاتى الحلبْ
وهاتى من الشهد ما يُشتهى ... ومن سَمنة الحىّ ما يُطّلَبْ
فما هو ضيفٌ ككلّ الضيو ... فِ ولكن أميرٌ كريمُ الحسب

« ليلى من وراء حجاب »

أبى ألف لبّيْك !

ابن عوف: لا بل قفى ... فما بى ظمأ ولا بى سغبْ

وأعلَمُ أن القِرى دِينُكم وأن أباكِ جوادُ العربْ

ولكن طعامى

المهدى : مادا ؟ اقترِحْ

ابن عوف: طعامُ الرسول بلوغ الأرَبْ

المهدى : إذن قِفى ليلى اقربى -

« تظهر ليلى من وراء الستر »

تقـــدّمى ورحّبى

حلَّ ابنُ عوفٍ دارَنا

ليلى : أكرِمْ به وأحببِ !

قد زارنا الغيثُ فأهلاً بالغمامِ الصيِّب

ابن عوف: أهلاً بليلى بالجمال بالحجى بالأدب

عشتِ وقيساً فلقد نوَّهتما بالعرب

« ليلى — بين الخجل والغضب »

أتَقرِنُ قيساً بنا يا أميرُ ؟

ابن عوف : ولِمْ لا وقد جئتُ من أجْلِهِ

وَمَنْ أنا حتى أُضُمَّ القلوبَ وا عطفَ شكلاً على شكلهِ
لقد جمعَ الحبُّ رُوحيكما وما زالَ يجمعُ فى حبلهِ

« ليلى : فى استحياء »

أجلْ ياأميرُ عرفتُ الهوى

ابن عوف : فهلاّ عطفْتِ على أهلهِ ؟

« يلتفت الى المهدى »

أنا العامرىّةِ قلبُ الفتاةِ يقول وينطقُ عن نُبْلهِ
فأصغِ له وترفّقْ به ولا يسْعَ ظُلمُك فى قتله

المهدى : أأظلم ليلى ؟ معاذَ الحنان ! متى جار شيخٌ على طفله ؟
هو الحُكْمُ ياليلَ ماتحكمين خُذى فى الخطاب وفى فصلِهِ

ليلى : أقيساً تريد ؟

ابن عوف : نعم

ليلى : إنه مُنَى القلب أو مُنتهَى شُغلهِ
ولكن أترضى حجاى يُذَالُ، وتمشى الظنونُ على سدْلِهِ
ويمشى أبى فيغضّ الجبينَ، وينظرُ فى الأرض من ذُلهِ

يدارى لأجلى فُضولَ الشيوخ ، ويقتلُنِى الغمُّ من أجله
يمينا لقيتُ الأمرَّيْنِ من حماقة قيسٍ ومن جهـله
فُضِحتُ به فى شِعابِ الحجازِ وفى حَزْنِ نجـدٍ وفى سهله
فخذْ قيسُ ياسيدى فى حماك

« فى حياء وإباء »

وألْقِ الأمانَ على رَحْلِهِ

ولا يَفتكِرْ ساعةً بالزواجِ ، ولو كان مَرْوانُ من رُسْلِه

ابن عوف :

إذن لن تقبلى قيساً ولن ترضَىْ به بعلا
إذن أخفق مسعاىَ وخاب القصـدُ ياليلى

ايـلى : على أنك مشـكورٌ ولا أنسى لك الفضلا
وأوصيكَ بقيسَ الخـــيرَ لا زلتَ له أهـلا
لقـد يُعوِزُه حامٍ فـكُنْه أيهـا المولى

« تلتفت الى أبيها وكأنما تحاول »
« أن تحبس فى عينها دموعا »

أبى كان وردٌ ههنا منذ ساعةٍ ففيم أتى ؟ ما يبتـغى ؟

المهدى : حاء يخطُب

ابن‌عوف: ومن وردُ ياليلى وهل تعرفينه ؟

ليـلى : فتى من ثقيفٍ خالصُ القلبِ طيّبُ

أتى خاطباً بعد افتضاحى بغيره وعارى،أهذا يابن عوفٍ يُخيَّبُ؟

أبي : أين وردُ الآن ؟

المهدى : عند قرابةٍ من الحىّ ضمّوهُ اليهم ورحّبوا

فان شئتِ أرسلنا اليه

ليـلى : إبعَثْ ادْعُهُ وجِئنابقاضى نجدٍ اليومَ يكتُب

ابن عوف :

تجاوزت ليـلى غايةَ السُخْط فاذكرى

عواقبَ رأى قد رأيتِ سخيفٍ

ليلى متهكمة :

أكنتُ ابنَ عوف غيرَ أنثى ضعيفةٍ

تنـاهتْ لرأى فى الأمور ضعيف

ابن عوف :

أرى وقفتي ياليلَ كانت شريفةً ولكنْ جزائي كان غيرَ شريفِ

ليلى :

أنظِّفُ ثوبي يا أميرُ فطالما ظهرتُ به في الحيِّ غيرَ نظيف

ابن عوف :

لئن كنتِ ياليلي بوردٍ قريرةً فاني على قيسٍ لِجدُّ أسيف

« ثم يخاطب أباها »

الآن بحفظ الله يا سيدَ الحمى لقد طال لُبثي عندكم ووقوفي

ووُفِّقت يا ليلى

ليلى :

لقد كنتَ سيدي حليفالقيسِ،هل تكونُ حليفي!

ابن عوف :

سألتِ مُحالاً إنما جئتُ خاطباً لورد القوافي لا لورد ثَقيف!

« يخرج من باب الخباء ويشيعه »
« المهدي الى ما وراء شجر البان »

ليلى :

ربّاهُ ماذا قلتُ ! ماذا كان مِن شأن الأمير الأرْيَحِيِّ وشاني ؟

فى موقفٍ كان ابنُ عوفٍ مُحسناً   فيه وكنت قليلةَ الاحسان

فزعمتُ قيساً نالنى بمَساءةٍ   ورمى حجابى أو أذالِ صيانى

والنفسُ تعلَمُ أن قيساً قد بنى   مجدى وقيسٌ للمكارم بان

لولا قصائده التى نوّهن بى   فى البيد ما علمَ الزمان مكانى

بجدٌ غداً يُطوَى ويفنىَ أهله   وقصيد قيسٍ فىّ ليس بفان

ما لى عِضبْتُ فضاع أمرى من يدى

والأمرُ يخرجُ من يد الغضبان

قالوا انظرى ما تحكمين فليتنى   أبصرتُ رشدى أو ملكتُ عِنانى

ما زلتُ أهذِى بالوساوس ساعةً   حتى قتلت اثنين بالهذيان

وكأننى مأمورةٌ وكأنما   قد كان شيطانٌ يقودُ لسانى

قدّرتُ أشياءَ وقدّر غيرها   حظٌّ يحُطُّ مصايرَ الأنسان

« ستـــار »

الفصل الرابع

المنظر الأول

« حول ديار بني ثقيف ، في قرية من قرى الجن ، حيث اجتمعت »
« طائفة منهم للحفاوة بقيس وهو يهيم على وجهه ضالا في الفلوات ، »
« وبينهم شاب منهم في شكل إنسي جميل الثياب يرتدي الحرير »
« من فرعه إلى قدمه ، وعلى رأسه عقال من الحرير المحلى »
« بالذهب ، هو الأموي شيطان قيس – الجميع ينشدون ويرقصون »

« نشيد الجن »

هذا الأصيلُ كالذَّهبْ ... يسيلُ بالمرأَى عجبْ
على الوهادِ والكُثُبْ

لرقصُ يبعثُ الطربْ ... هلمَّ يا جنّ العربْ

هلمَّ رقصةَ اللهَبْ ... إذا مشى على الحطبْ

نحن بنو جهنَّمـــا ... نغلِي كما تغـــلي دمَا

ننـــور في الأرضِ كما ... ثارَ أبونا في السما

نحن بنو الجبـــارِ ... العـــلَم المنـــارِ

إبليسَ بِكرِ النـــار   يا عزَّ من لهُ انتمى

نحن الرُّعودُ القاصفـهْ   نحن الرياحُ العاصفـه

والظلمـــاتُ الزاحفه   عرمرَماً عرمرَماً

لنـا وما لنا صُوَرْ   نرى وتسمعُ البشر

ولا يرَوْن من حضرَ   منا ومن تكلما

نهول حينَ نصطدمْ   بسادةٍ أو بخدم

صمم صمم صمم صمم   عمَى عمى عمى عمَى

هبيد : فيمَ اجتمعْنا ههنا ؟   يا عضرَفوتُ ما الخبر ؟

عضرفوت :لا أدْرِ . . . تلك صيحةٌ   حضرتُها فيمن حضرْ

فسل أخاك عمَراً

هبيد :   ماذا هناك يا عمَرْ ؟

عمر : نحن مسوقونَ الى   ما ليسَ ندرى كالبقرْ

الاموى : بنى الجنّ فى أرضكم عابرٌ   من الإنس يرسفُ فى ضرِّهِ

فغالوا به واعلموا أنه   فتًى سنَّه الشعْرُ من قدرِه

هبيد : وأينَ ترَى هـــو ؟

آخر : ما ذا يكون

الاموى : ومادا يهمّك من أمره

ألم تعلموا أن لى صاحبا من الانس أحكُمُ فى شعره

هند : أحل أنت توحى له ما يقولُ وتقذفُ ما سئت فى فكرِه

الاموى :

إذن فاعلموا أنه عاشق تمّلأتْ البيدُ من ذكره

عاصف: وأعلم أن الهوى واحد حوى المستهامين فى أسْره

وأن التى سحرت قلبه مدلّهةُ القلب من سحره

الاموى :

وانى لأ كْفلُ ليلى له وأصرفُها عن هوى غيرِه

سَهِرْتُ على طُهر ليلى الزمانَ ولم أغمِض العينَ عن طُهرِه

صرَفتُ عن الحب حتى الزواجَ وما قدَّسَ اللهُ من سِره

ولو أنّ عينى تَشقُّ القُبُورَ سهِرتُ على الحبِّ فى قبره !

عصرفوت :

ومن يكون

الاموى :

قيس

عصروت: من قيس؟

عاصف : وهل يخفى القمرْ!

الشاعرُ الذى سحر والساحر الذى شَعَر

حَنجَرةٌ لنـــا وترْ منها وللأنس وتر

هبيد : وما لنا يا عضرفوتُ ولِفتيانِ البشرْ؟

وما لقينا منهمو ومن أيهم غيرَ شر؟

عضرفوت: بنى الجنِّ اسمعوا أبِكم زكامٌ

جى : ولِمْ؟

عضرفوت : تَبَيَّنتْ لعمركُموا الهواء

آخر : وما فى الجو؟

عضرفوت: ريحٌ آدمىٌّ

ففيه نَباتهٌ وله ذَكاء

إذا البشرىُّ مرَّ علىَّ يوماً وقد مرّت علىّ الخُنْفَساء

حى : أجل بعداوةِ البَشَرِ أبْتُلينا ... وطال بها التبرّمُ والعَناء
عصى بالكبر إبليسٌ أبونا ... وكلُّ تراثِ آدمَ كبرياء
يَعيب رجالُهم فيقال عنّا ... وتَدْفِنُ عارَها فينا النساء
وان عَجزَ الطبيبُ قال داءٌ ... من الجِنّى ليس له دواء
وان قَفَزتْ صغارهمو فزلّت ... فما معشرَ الجنِّ البلاء
وخِفنا من أذاهم فاحتجبنا ... فما عصم الحجاب ولا الخفاء
وكم متعوِّذٍ بالله منّا ... تعوذ الأرضُ منه والسماء!

عصرفوت: وقد نشكو من الناس التجنّى ... وننسى ما جناه الأنبياء

حى : أَرُسْلُ الله أيضاً من عِدانا

عصرفوت: ... أجل هم في عداوتنا سَواءُ
بنى لَحماً سليمانُ وصخراً ... ولولا الجنّ ما نهضَ البناء
بنينا تدمرَ الكبرى بأيدٍ ... وهل تدرونَ ما كان الجزاء؟

حى : وما كان الجزاء؟

آخرون: أَبِنْ!

عصرفوت: عذابٌ

وسجن ما لمدّته انقضاء !

فتحتَ الماء

حي : تحتَ الماء ؟

عصروت: عانٍ

عليه طلاسم وعليه ماء !

وفي جوف القماقم لو علمتم

آخرون : وما ذا في القماقم ؟

عصروت: أرياء !

حي : ومن ذا زجَّهُم فيها ؟

عصروت: أميرٌ

علينـــــا لا يُردّ له قضـــاء

نبيٌّ فهو عدلٌ حيث يَقضِي ومَلْكٌ فهو يفعلُ ما شاء !

عاصف : قيس يا قومُ منكمو ليس قيسٌ من البشر

حي : قيس منا وإنما في بني عامرٍ ظهر

آخر : إنني قد رأيتهُ يتفلّى على الشجر

ثالث : وسمِعناهُ قـد عوى عَوَّةَ الجنِّ واستتر

رابع : أنا أيضاً رأيتـــــه ركِبَ الظبىَ فى السفر

عاصف ـ متطلعا : تعالَوْا فانظروا

« يتطلع الجميع الى حيث ينظر »

حى : ماذا ؟

آخر : عجيبٌ

عصروت : نرى شبَحاً يُدحرِجُه الفضاء

أقيسٌ ذا ؟

عاصف : نعم هو فاستعدوا فقد وجب التحفزُ واللقاء

« هنيهة تمر آخر »

نأمّلْ قيسا المضنى تجدْه من الدَّوبان أصبح كالخيالِ

الآخر : لقد ضلّ الطريقَ أما تراهُ يُصفّق باليَمين و بالشِّمال ؟

وقد قلَبَ الثيابَ عليه نَهْجاً على عاداتِهم عند الضلال

« يظهر قيس ويلتفون حوله ويسجدون »

سلامٌ مَلِكَ الحبِّ وسلطانَ المُحبينـا

وأهـلا وعلى الرحبِ لقـد شُرِّفَ وادينـا
أتى الجنُّ من الوادى يُحيّـونَك بالورد
حدا ركبهم الحـــادى الى نادبك من بعْدِ

« يتلفت قيس ذات اليمين وذات الشمال »

رَبِّ الى أين انتهى بيَ السُّرى وأيَّ وادٍ أنزلتنى يا تُرى
عساىَ فى الشام بالعلّى جُرتُه أو أنا بالطائف أو أين أنا ؟
وهذه المُسوخُ حولى جِنَّةٌ أم عَمَلُ الوهم وتهويلُ الكَرى
لا ، أنا صاحٍ

« يتحسس جسمه »

هــذه رِجلى وذِى يدى وذلك مُقلى يقظى تَرَى
ولِم لا أومِنْ بالجن وأن تكون للجِنّة كالناسِ قُرى؟
لا أدّعى معرفةً بعــالمٍ ظاهرُه أكثر منه ما اختفى

« يمسح جبينه ويعيد النظر والتطلع »

تلك منَ الجنّ لعمرى شِرذِمَةْ وهـــذه خيلهمو المُسَوَّمَــه
نعامة كالفرَس المُطهَّمَةْ وأرنبٌ مُسْرَجَةٌ ومُلجَمه
وقُنفُذٌ وظَبيةٌ وشَيْهمَه

ياعجباً كلَّ العجبْ !	الجنُّ منى عن كَثَبْ
سودٌ دقاقٌ فى العيون	كالدُّخانِ فى الحطب
يخرجُ من أفواهها	ومن عيونها اللهب
من كل مَن حال بقو	لِه وصال بالذنب

الجان : دَعِ الحبَّ لا تخش | أذى أو شرَّةً منا
عَطفْتَ الطيرَ والوحشا	فلِمَ لا نعطِفُ الجنا ؟
وسَلْ حسّان والأعشى	وشيطانَيْهما عنا

الاموى :

تركتُ ورائى الشامَ لم أنتفعْ به	ولا هو من سوى القديم شفانى
وعدتُ الى نجدٍ أقاسى صبابتى	ووحدى كأنى ما برحتُ مكانى
تركتُك ليلى فانفجرتِ لياليا	مؤلفةَ الأشكالِ حذ حِسان

فلم يَخْلُ سيْرى منك يوماً ولا السُرى
ولم يخلُ من تمثالِكِ القمران

على كل أرض من هواكِ سوارحٌ	ملأنَ سبيلى أو مَلَكْن عِنانى
(وأجهشتُ للتوْباد حين رأيتُه	وكبّر للرحمنِ حين رآنى)



« نبي الحب لا تخش أذًى أو شرة منـا »

(صفحة ٨٢)

(وأذريْتُ دمعَ العين لما عرَفْتُه   ونادى بأعلى صوتِه فدعانى)

« يدنو منه قيس ويتأمله »

قيس : لنفسه : يا ويح عينى ما ترى ؟   وويحَ اذْنى ما تَعى !

وأين عقلى ؟ غاب عنى   اليومَ أو عقلى معى ؟

الشعر لى مُذ قلتُه   من شفتى لم يُسمَعَ

من ذا الذى أوْحَى به   لذا الغلام المُدَّعى ؟

« يقترب من الشاب ويأخذ فى انتقاده »

عقالان يمانيّانِ   مِنْ وَشْى وعِقيانِ

يُضيئان كلمحِ الشمـ   ـس فى حلةِ ثعبان

وأين الشفقُ الأحـ   ـمرُ من مِطرَفِكَ القانى ؟

وقد تقربُ فى الروْ   عةِ من أملاك غسّان

وقد تبلغُ فى الشعـ   ـر الى رقةِ حسّان

فما شأنك يا هذا ؟

الاموى :   وما يَعنيكَ مِن شأنى ؟

قيس : أرى سارِقَ أشعارِ   جريئًا ما له ثانِ

وقـــد يُسطَى على بيتٍ　　وقد يُسرَق بيتان

ولا يَنتحِل الإنسانَ　　أبيـــــاتاً لإنسان

وما أنشَدْتَ من شــعرٍ　　فمن صنعى وإحسانى

ولم أهتفْ به بعـدُ　　ولم تَسمعه اذْنان

فمَن أَنت ومِن أين　　أتتْ اذنيك ألحانى ؟

الاموى : أنا الملقى عليـك الشعـــــرَ مِن آنٍ الى آن

أنا الهاجس والشيطان

قيس : لا ، لا ، لستَ شيْطانى

« ثم يناجى نفسه »

أحلْ سمِعتُ باسمِ شيـ　ـطانى ولــكن لم أرَهْ

أبى وأمى حــدّثا　　نى فى الليالى خبرَهْ

« يعود الى خطاب الأموى مترددا »

ألستَ أنت الأمويَّ ؟

الاموى : لا تخَفْ أن تذكرَه

قيس : ما أنت إلا صــورةٌ　　فى عصبى مُصـوّره

وعبثٌ لو كان عقـــــلى حاضراً لأنكره

« قيس ــ وهو يسكت الارض بعود »

ويحى أقيسٌ واحد   أم نحن قيسان هنا ؟
وأينا الشاعر هـذا   الأمـوىُّ أم أنا ؟
أم الذى بى وبه   من عَبَثِ السحر بنا ؟
أم أنا مجنون علـــــىّ حبُّ ليلى قد جنى

الاموى : قيسْ

قيس : لبيكَ قيس

الاموى : ما أنا قيس

قيس : من إذَن ؟

الاموى : قلتُ إنَّنى شيطانهُ

قيس : قيس من آدمٍ فما أنت منه

الاموى : أنا من قيس عامرٍ وجدانهُ

قيس : أنت وجدانى؟ إستعذتُ بربى منك

الاموى : لا تستعذ به جلّ شانهُ !

هكذا شاء: كلُّ شاعر قومٍ عبقريّ اللسان نحن لسانه

« قيس مشيحا بوجهه ومطرقاً »

يا عجبا أصبحَ بالجنِّ لسـاني يعمرُ !
وصرتُ ينْهَى ماردٌ على فمى ويأمرُ
ما للسانى لا يطولُ ؟ ما له لا يقصرُ ؟
يا ليت شعرى كيف لا يخرُجُ منه الشرَرُ ؟

« الأموى ــ واضعا يده على كتف قيس »

عـلامَ قيس فيم أنـت مُطرقٌ مفكِّرٌ ؟
فى خبرى ؟

قيس : أجل وما صدقتَ فيما تُخبِرُ
ليس لسـانى مارداً إن لسـانى بشَرُ

الاموى : قل وحدك الشعرَ إذن !

قيس : تظنني لا أقْدِرُ ؟

الاموى : جرِّبْ إذَن قلْ أرِنا يا قيسُ كيف تَشْعُرُ !

قيس : وما تُحبُّ ؟

الاموى :

قريةُ الجنِ وهـــذا المنظرُ

أليس فيها أنت راءٍ قيسُ ما يؤثر ؟

قيس : إسمع إذن يا أمويُّ !

الاموى : إنى أنتظر

قيس : وحوشٌ تصوّرُ ، وفضاءٌ يزهرُ ، ورمال فى مطارح البصر تزخرُ !

وقريةٌ تموجُ بالجنِّ كأنها عبقرُ !

« الأموى ضاحكا »

قه قه ! تعالَوْا واضحكوا !

« تضحك جماعة من الجن »

قيس فى غضب : قه قه . . أمنّى تسخرُ ؟

الاموى : ما هكذا ياشاعر الـــبيدِ البيوتُ تُكْسرُ

جنى آخر : إنك لا تَنْظِمُ يا قيس ولكنْ تنثرُ !

الاموى : مالك قيسُ مُفحَماً هــذا لعمرى الحَسَرُ !

لا يُفحَم الشاعرُ لكن   يُفحِم الشُّوَيْعِرُ
مالك كالعُودِ الذي   أدبرَ عنه الوترُ ؟
ما للقوافي الآنَ   منكَ قيسُ تنفرُ ؟
كيف ترى لسانَكَ الآ   ن

قيس : عليه حجرُ !

أنتَ على مشاعري   وشعريَ المسيطِرُ !
إن غبت غاب خاطري   وإن حضرتَ يحضرُ

الاموي : الآن لا تُنكرُني قيس   وكنت تُنكِرُ !
عجِبْتَ كيف تختفي الجنُّ   وكيف تظهرُ
يا قيسُ هذا عالمٌ   طِينتُه التحجُّرُ
تطغَى على رائدها   صحْراؤه وتغمرُ
وغاية المُمْعِنِ في   نظامِهِ التحيُّرُ
مهما علِمت عنه فالذ   ي جهِلْتَ أكثرُ !

قيس : يا أخَا الجنِّ لئن   كنتَ أخاً لي وخليلاً
أنا في أعماءِ أرض   لا أرى فيها السبيلا

الاموى : أين تبغِى قيس ؟

قيس : ليلى كن الى ليلى الدليلا

الاموى :

ملْ يميناً يا أبا المهــدىِّ ثم امشِ قليــلا
تجد المنزلَ والمـــاء الذى يَشفى العليلا

« سطاق قيس آحداً تممه مهرولا »

المنظر الثانى

« فى حى بنى ثقيف بالطائف حيث ترى دار ورد على بعد قليل —
« ورد مضطجع على الرمل وبجانبه يجلس رفيق من رفاقه ـ يقترب قيس »

قيس : إن قلبى لمخــبرى أن هاتيــكَ دارُها
أنا بالطـائف الذى قــرّ فيـــه قرارها
فى ثقيف تنقــلى وثقيف ديارهـــــا
ما لساقى جَرَرْتُهـــــا وتعـــابى انجرارُها
ولقلبى يقــــول لى قد تدانى مزارُها
كيف لا أهتــدى لليــــلى وفى القلب نارها

ليت ليلاىَ نُبِّئتْ أننى اليومَ جارها

« يتبين وردا وصاحبه »

عجبٌ !هُديتَ الدارَ بعد ضلالة ما كان شيطانى علىّ كذوبا

هذى منازلُها وذلك بعلُها بعثتْ الىّ ديارُ ليلى الطّيبا

هذا غريمى وردُ أشقرَ كاسمه أتراه ألبس جلدَه مقلوبا !

ما باله افترش الأديم كأنه نغلٌ يُعفّر فى التراب جنوبا !

« رفيق ورد »

ورد أرى من المدَى القريبِ شخصاً يدبّ نحونا كالذيب

على خُطاه خَشيةُ المُريبِ

ورد : لِمْ لا تقولُ حَيْرة الغريب

لعله ابنُ سبيل يمرُّ بالحى مرّا

إنى أراه سقيما يجرُّ ساقيْه جرا

« ينهض من رقدته قلقاً »

الرفيق : عرفتَ مَن هو ؟

ورد : قيسٌ به الغرامُ أضرّا

الرفيق: قيس ؟

ورد :أجل

الرفيق: كيف أفضى اليك ؟ كيف تجرّا

ورد : دعى وقيساً وشأنى لعل فى الأمر سرّا

« ينصرف الرجل ويتلاقى ورد وقيس »

قيس : أهذا أنت وردَ بنى ثقيفٍ ؟

ورد : نعم والوردُ ينبتُ فى رباهــا

قيس : ولِمْ سُمِّيتَ وردا لم تُلفَّفْ بقلاّمِ العشيرة أو غَصاها !

« ورد — فى سكون وحلم »

وما ضرّ الورودَ وما عليها ؟ إذا المزكومُ لم يَطعَمْ شذاها

قيس : (بربِّكَ هل ضممْتَ إليكَ ليلى قُبيلَ الصبح أو قبلتَ فاها؟)

(وهل رفّتْ عليكَ قرونُ ليلى رفيفَ الأُقحُوانةِ فى نداها؟)

« ورد — بعد فترة سكون »

نعم ولا ياقيس

قيس : بل لا بدَّ من لا أو نعمْ

ورد : هبْها نعمْ يا قيسُ هل مع الحلال من تُهَمْ ؟
المرْءُ لا يُسـأل : هل قبّلَ أهـله ؟ وكم ؟
أحل لقـــد قبّلتُها من رأسها الى القـدم

قيس غاضباً :

تلك لعمرى قُبلةُ الحُمّى بلاءٌ وسـقمْ !
أو قُبلَةُ الذئبِ إذا الذئبُ على الشـاة جثمْ

« يتراجع قليلا وكأنما يحدث نفسه »

قلبي يقول لىَ : لا ! يا صدْقَهُ فيما زعم !

ورد : إذن تعالَ قيسُ واسـمعْ فى أناةٍ وكرمْ
لا تجعلنّ العصبَ الـجائرَ بيننا الحكَمْ
إسمع حـديثى إنه ما خطَّ مثلَه القـلم
وسِرَّه لا الأهلُ يدرون به ولا الخدَم
أنا الذى ظُلمتُ قيـس ما أنا الذى ظلَمْ
أليّةً وما علىّ لك يا قيس قسَمْ
كم مرّتِ الليلةُ بى والليلتان لم أنم
منذُ حوت دارىَ ليـلى ما خلوْتُ من ندم

كانت إطافتى بها كالوثنىِّ بالصَّنم
وربما حئتُ عِرا شبهًا فخانتنى القدم
كأنها لى مَحْرَمٌ وليس بيننا رَحِم
شعرُك يا قيسُ جنى علىَّ هذا واجترم
هيّبتها فامتنعتْ كأنها صيدُ الحرَمْ
وهمّتها للحبّ والشعرِ وقيسٍ والألم

قيس : ولكن تعالَ نرى ثقيفِ أبِنْ لىَ ما لم تُبيّنْ تعالَ
تقولُ لقيتَ بشعرى الشقاء وجرّ عليك بيانى الوبالا
لقد قلتَ قولا فأوضحته فبالله إلا شرحت المقالا

ورد : إذن . أصغِ قيس
قيس : قل الصدقَ وردُ
ورد : وهل كان لى الصدقُ إلا خلالا
فلولاك ما اخترتُ الا ثقيفاً ولم ألقَ للعامريّات بالا
ذهبتُ بشعرك منذ الشبابِ اغنِّى القِصار وأروى الطِّوالا
أرى بين ألفاظِهِ ظِلَّ ليلى وألمحُ بين القوافى الخيالا

فلما رُدِدْتَ وقيل القصائد — والعشقُ بين المحبَّيْن حالا
خرجتُ الى حيِّها خاطبا — ولم أُدَّخِرْ دون مسعاىَ مالا
بميْنُ بها فتهيَّبتُهـــا — وأىُّ امرىءٍ هاب قبلى الحلالا
فشعرُكَ ياقيسُ أصلُ البلاء — لقيتُ به و بليلى الضـلالا
كساها جمـالا فعلَّقتُها — فلما التقينا كساها جلالا
إذا جئتُها لأنالَ الحقــوقَ — يهنى قداستُها أن أنالا
أمْسِكْ أبا المهدى !

« يستحيل كلامه الى همس . اذ تبدو ليلى على باب الخباء »

أُنظُرْ هذه — ليلى علينا طلعتْ من الخِبا

« ثم ينادى بصوت متهدج »

ليلى تعالىْ أسرعى قيسُ أتى — ليلى هناكِ ، مَنْ تحبين هنا
قيس : أمازحٌ ياوردُ قل لى أمتأم — تسخرُ منى أم ترَى تهزَا بنا؟
ورد : بل قلتُ جدًّا لم أقل مُهازلا

« قيس ــ هاما بالذهاب اليها »

إذن فدعْها لاتُجشِّمْها الخُطا

« ورد ــ وليلى تقترب »

إسمعْ أنا المهدىّ همسَ خطوها ... كأنه وَطْءُ الغزال فى الحصا

دعوتُ فاهتممّتْ ولولم أدْعُها ... لوَجَدتْ ريحكَ من أقصى مدى

قيسُ تثبّتْ واسنعدّ، هى ذى ... أنتْ، فلا يذهبْ بلُبِّك اللقا

الآن أمضى لسبيلى

قيس : بل أقِمْ ... إلبثْ أعنّى، إننى خُرتُ قُوَى

ورد : قيسُ أرى الموْقف لا يجمعُنا ... أنت حبيبُ القلب، والروحُ أنا

يا لكما مى ويا لى منكما ! ... نحن الثلاثةَ ارتطمنا بالقصا

« ينصرف وتقبل ليلى على قيس »

قيس : ليلاى ، ليلى القلب

ليلى : قيس مالى ... دارتْ بى الأرضُ وساء حالى؟

قيس : فداكِ ليلى مهجتى ومالى ... من السَّقام ومن الهزالِ

تعالىْ أشكى لى النوى تعالِى ... ألقى ذراعيْك على خيالِ

« تصافحه بشوق »

ليلى : أحق حبيبَ القلب انت بجانبى ... أحلمٌ سرى أم نحن منتبهان ؟

أبعد تراب المهد من أرض عامرٍ ... بأرض ثقيفٍ نحن مغتربان؟

قيس : حنانيكِ ليلى ، ما لخِلٍّ وخِلّه　　من الأرض إلا حيث يجتمعان

فكلُّ بلادٍ قرَّبتْ منكِ منزلى　　وكلُّ مكانٍ أنتِ فيه مكانى

ليلى : فمالى أرى خدّيْكَ بالدمع بُلِّلا　　أمِنْ فرحٍ عيناكَ تبتدران

قيس : فداؤكِ ليلى الروحُ من شرِّ حادثٍ

رماكِ بهذا السُّمْ والذَّوَبان

ليلى : ترانى إذن مهزولةً قيس؟ حبّذا　　هُزالى ومَن كان الهزالَ كسانى

قيس : هو الفكرُ ليلى ، فيمن الفكر ؟

ليلى : فى الذى تخنّى

قيس : كفانى ما لقيتُ كفانى

ليلى : أأدركتَ أن السهم يا قيسُ واحدٌ

وأنا كلينا للهوى هدفان ؟

كلانا قيسُ مَذبوحٌ　　قتيلُ الأبِ والأمِّ

طعينان بسكّينٍ　　من العادة والوهم

لقد زُوِّجتُ ممّن لم　　يكن ذوْقى ولا طَعْمى

ومن يكبُرُ عن سنّى　　ومن يصغرُ عن علمى

عريبٌ لاَ من الحيِّ ولا من وَلد العـــمِّ
ولا ثروتُهُ تربِي على مال أبي الجَــمّ
فنحن اليومَ فى بيت على صِـدَّيْن مُنصمِّ
هو السجنُ وقد لا يـــنطوى السجنُ على ظلم
هو القبرُ حوى مَمْـــن حاريْن على الرّغم
سنايتين وإن لم يَمــعدِ العَظْمُ من العظم
فان القرب بالرُّوح وليس القربُ بالجسم

قيس :

تعالىْ نعِشْ ياليلَ فى ظل قفْرَة من البيد لم تُمقَلْ بها قدمان
تعالىْ الى وادٍ خَلِىٍّ وجدْولٍ وربّةِ عُصفورٍ وأيْكةِ بان
تعالىْ الى ذكرى الصِّبا وحنونه وأحلام عيشٍ منْ دَد وأمان
فكم قُبلة ياليلَ فى مَنْعة الصِّبا وقبلَ الهوى ليست بذات معان
أخذْنا وأعطيْنا إد البَهْمُ ترتعى و إذ نحن خلف البَهْم مستتران
ولم يكُ ندرى يومَ ذلك ما الهوى ولا ما يعودُ القلبَ من خفقان
مُنَى النفس ليلى قرّبى فاك من فمى كما لفّ منقاريْـهما غرِدان

نَذُق قُبلةً لا يعرِف البؤسَ بعدها ... ولا السقَّمَ رُوحانا ولا الجسدان

فكلٌّ نعيم في الحياة وغبطه ... على شفتينـــا حين تلتقيان

ويخفُقُ صدرانا خفوقا كأنما ... مع القلب قلب في الجوانح ثان

« تنهر ليلى »

ليلى : وكيف ؟

قيس : ولِمْ لا ؟

ليلى : لستَ ياقيسُ فاعلا ... ولا لى بما تدعو اليه يدان

قيس : أتعصِيني ياليلَ ؟

ليلى : لم أعصِ آمرى ... ولكنَّ صوتاً في الضمير نهانى

* * *

ووردُ ياقيس؟ وردٌ ماحفَلتَ به ... لقد ذَهلتَ فلم تحفِلْ له شانا

« قيس : غاضبا »

تَعنين زوجَكِ ياليلى

« ليلى : منكسة رأسها »

نعم

قيس : ومتى أحببْتِ وردا؟ ترى أحببته الآنا!

ليلى : فيمَ افتخارُك ؟

قيس : من كيدٍ فُجِئْتُ به

ليلى : إنى أراك أنا المهدى غيْرانا

وردٌ هو الزوجُ ، فاعلمْ قيسُ أن له حقاً علىّ أؤدّيه وسلطانا

قيس : إذن تحابيتما ؟

ليلى : بل أنت تظلمنى فما أحبَّ سواك القلبُ إنسانا

ولستُ بارحةً من داره أبدا حتى يُسرِّ حَنى فضلا و إحسانا

نحن الحرائرَ إن مال الزمانُ بنا لم نشكُ الا إلى الرحمن بلوانا

قيس : بل تذهبين معى !

ليلى : لا ، لا أخونُ له عهداً ، فما حادعن عهدى ولا خانا

فتىً كنبعْ الصفا لم يختلفْ خلُقاً ولا تلوّنَ كالفتيان ألوانا

« قيس : متهكماً »

أراكِ فى حبِّ وردٍ جدَّ صادقةٍ وكان حبُّكِ لى زوراً و بهتانا

ليلى : قيس !

« قيس : صارخا »

أتركيني بلادُ الله واسعةٌ ! غداً أبدّلُ أحبابا وأوطانا

« يحاول أن يتركها فتمسك به ليلى »

ليلى : العقلَ يا قيس !

قيس : لا خلِّى الرداءَ دعى

« ثم يفلت منها ويندفع الى سبيله »
« تاركا اياها باكية فى هيئة استعطاف »

ليلى : وارحمتاه لقيسٍ عاد ما كانا !

واهاً لقيسٍ وآهِ ما صنعا ؟ أكثرَ قيسٌ بلواى والوجعا

« تدخل عفراء »

عفراء عندى

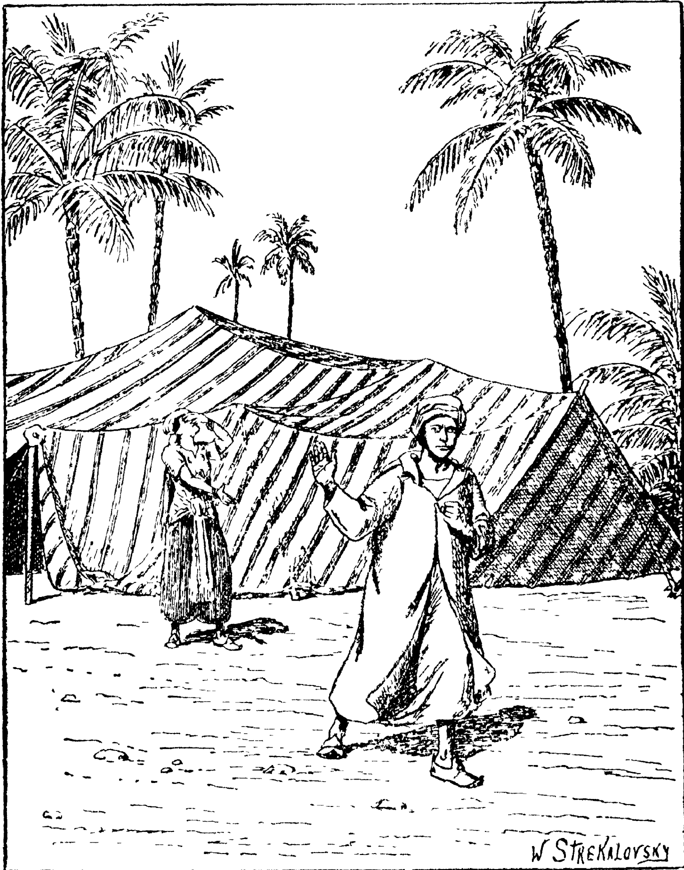
عفراء: لبّيكِ سيدتى الصبرَ واستدفعى به الجزعا

ليلى : لقد سمعتِ الحديث كيف إذن صبرى على ماجرى وماوقعا ؟

قلتُ لقيسٍ مقالَ مشفقةٍ لم يُلقِ بالاً له ولا سمعا

وقيسُ ذو جِنّةٍ وإن زعموا جنونَه مدَّعًى ومصطنعا

تحير الناسُ فى جنون فتى لا عقلَ الا بشعره لعا



« . . . . اتركيني بلاد الله واسعة غـداً أبدل أحباباً وأوطاناً »

(صفحة ١٠١)

واللهِ لو جاء فى محاسنةٍ يسألُ وردَ الطلاقَ ما منعا

فوردُ يا عفر لا كِفاءَ له مروءةً فى الرحال أو ورعا

آه من السقم

عفراء: ألفَ عافيةٍ

ليلى: آه من الحادثاتِ

عفراء: ألفَ لعا

ليلى: أنا عُذريّةُ الهوى أحملُ العبْء وإن ناءَ بالصبابة جهدى

المحبّات ما بكيْن كدمعى فى الليالى ولا أرِقن كسهدى

ويح قيسٍ وويحَ لى أى ثارٍ للمقادير عند قيس وعندى

أتعب الحىّ داء قيسٍ ودائى وتعايى الدواء كُهّان نجد

لا الحوامِمُ تصرفُ الجنّ عنا حين تُتلى ولا رُقىَ السحر تُجدى

أبقيسٍ وبى هوى عبقرىٌّ يَسلُبُ العقلَ من ذويه ويُردى

عِلّةُ السيد من قديمٍ وداء ضاعَ فيه الرُّقى وحار المُفَدّى

ما سلاحاه حين يقتلُ إلا من عفافٍ ومن وفاء بعهد

لم تُعَذَّبْ بالحب عذراء قبلى كعذابى ولن تعذَّبَ بعدى

عفراء: هى عـذراء ؟ ربىَ اشهدْ

ليلى : أجلْ عذراءحتى يصمنّى ركنُ لحدى

عفراء: والذى أنتِ تحتَه ؟

ليلى : تحت بعل غيرِ ذى جَفوةٍ ولا مستبد

راعنى اللومُ من جميع النواحى فتواريْتُ فى مُروءةِ ورد

«يقبل ورد وقد سمع آخر ما كانت تقول »

ربِّ ماذا سمِعت؟ ليلى شكورٌ لك نفسى الفِداء يابنت َمهدى

ليلى : ورد

ورد : ليلى

ليلى : رُحمـاكَ وردُ وعفـوا

كنتُ أخفى الجوى فأصبحتُ ابدى

ورد : ما بليلى ؟ ما ذا أثاركِ ليلى ؟ هدئى روْعَكِ المُفزَّعَ هدِّى

ليلى : الداء يا ورد بى مجتهـد ملتهمٌ هيكلى وما شبِعا

أصبحتُ لا أشتهى الطعامَ ولا يحمدُ جنبى الىّ مضطجعَا

قلبى من اليأس حين حلّ به أُحسُّ يا وردُ أنه انصدعا

لم يحملِ اليأسَ ساعةً ولقد كان بما حمَّلوه مصطلِعا
المتمنى بالعيش منتفِـعٌ ولن ترى يائساً به انتفعا
القدرُ اليومَ والقصاءُ على حربك قيسَ وحربيَ اجتمعا

« ســــتار »

الفصل الخامس

« مقابر على سفح جبل التوباد في طريق عام على مقربة من حي بني »
« عامر يبدو من بينها قبر جديد ما زال أشخاص من الحي يهيلون »
« عليه التراب ويضعون الأحجار ، ومن حوله كثير من رجال الحي »
« وفتيانه وصغاره يرى بينهم المهدي وورد وكلهم باك أو حزين — »
« يبدأ المشيعون في الانصراف وهم يعزون المهدي ويصافحونه واحداً »
« بعد واحد ويمرون على ورد مروراً »

معز : إنا لله أبا ليلى

آخر : صبراً أبا ليلى جميل

« في أثناء انصرافهم يمر رجل في الطريق »
« ويسأل صبياً من صبيان الحي في ناحية »

المار : قبرُ مَنْ يا صبي ؟

الصبي : قبرُها يا أبي

المار : إمرأة ؟

الصبي : نعم

المار : ومَن تكونُ ؟

« الصبي مشيرا الى المهدى »

بنتُ ذا الرجل

ليلى ابنــةُ المهدِى ألستَ من نجدِ ؟

صبي آخر : أجلْ قد دُفنتْ ليلى وما جفّ لها لَحْدُ

ودا الشيخ أبو ليلى ودا صاحبُهــا وردُ

هنا الوالدُ والزوجُ

المـار : وقيس ؟

الصبى : لم يجىءْ بعد

« يقترب الرجل من المهدى ويعزيه »

المـار : مَهدىُ أجملْ جزعا

معز : يا أبا ليلى جَمالَكْ

آخر : عَزاءً أبا ليـــــلى

آخر : عزاءً أبا ليــلى

آخر : صبرٌ أبا ليلى جميل

« صديق من أصدقاء ورد هامسا اليه »

لقد أحسنتَ يا وردُ وما للناس إحسان

يُعزُّون أبا ليلى وما عزّاك إنسان
بل انظُرْ ترَهم أقسى عليك اليوم ما كانوا
على الأوجُه بغضاءٌ وفى الأعيْن عُدوان

ورد : مهلاً أخى وانظُرْ الى النـــاس بعين مُنصِفِ
هم يأخذون ما بدا ويتركون ما خفِى
ظنُّ الجماعات فىَّ سوءٌ ورأيُهم فىّ ما أصابا
يرَوْن أنى عدُوُّ قيسٍ أخذتُ ليلى منه اغتصابا
وزدتُ نفسيْهما شقاءً وزدتُ قلبيْهما عذابا
ليسألِ الناس قبر ليلى فان فى قبرها الجوابا

« يلتفت الى المهدى بعد أن يعزيه آخر معز »

تجمّلْ أبا ليلى

« المهدى — مصافحا إياه »

تجمّلت طاقتى واستُ بخوّارٍ قليل التجلُّدِ
حَمَلْتُ فُضولَ الناس ياوردُ حِقْبةً إذا قمت من باغٍ عَثرتُ بمُعتدِ
يعيشون فى عرضى فمن كل مِعوَلٍ ومن كل مِقراضٍ ومن كل مِبرَدِ

وهـذا يحيّيني ويقطعُ فروَتى وهذا يُفدّيني ويهدِمُ سؤدَدى

ويا ورد لولم تُرْخ ستراً على ابنتى لظلّتْ بعرضٍ فى البوادى مبدَّد

حَفِظتَ ابنتى حفظ الشقيق ومرِّضتْ

ببيتك تمريض الصغير الممُهَّد

وصيّرتَ ليلى فى حماكَ وخدرهَا كعذراءِ ديْرٍ أو كدُمْية معبَد

لقد صنتَها يا وردُ فاذهبْ فما أنا بناسٍ لكَ المعروف أوجاحد اليدِ

وليلى فتـاةٌ حُرةٌ بنتُ حرّةٍ أحبّتْ غلاماً سيّدا وابنَ سيّد

وأعلمُ أنى كنتُ حربَ هواها وكنتُ مع الواشى وعَوْنَ المفنّد

« يلتفت الى القبر باكيا »

بظل الله يا ليلى

ورد : وفى بحبوحة الخُلْدِ

وهـذا نجدُ يا ليلى فنـامى فى ثرى نجدِ

« يدخل دائرة المسرح من جانب الطريق الآخر »

« العريض المغنى والشاعر ابن سعيد وأميه وسعد »

الغريض : دنا الحىُّ يابن سَعيد وثمّ

ابن سعيد : وما ثمّ ؟

الغريض : أُنظر يُجبْك النظرْ

ابن سعيد : قبورٌ ؟

الغريض :

أجل عارضتْنا القبور وعما قليل نجيرُ الحُفَرْ

ابن سعيد :

وهل نحن إلا على حُفْرَةٍ هي الأرضُ أوهي قبر البشر
محجّبةٌ بغرور الحياة يراها إذا غرغر المحتضَر

غريضُ: بصُرت بقبرٍ حديد

الغريض : وماذاسوى الموت فى ذا العفرْ ؟

ابن سعيد :

أخٌ كان يملأُ أمسِ الهواء ويحيا الحياةَ ويجرى العمُرُ
نزيلٌ لعمرى غريبُ الغِطاءِ غريبُ الوِطاءِ غريبُ الحُجَرْ
لدى منزلٍ كبيوتِ الكِراء مراراً حلا ومراراَ عمَرْ
يُزارُ كثيراً فدون الكثير فغِبًّا فينسى كأن لم يُزَرْ
وليس بنافعه الواصلون وليس بضائره من هجَرَ
فياميْتَ أمسِ عدتْكَ الرياحُ وحيَّاكَ فى الفتَرات المطر

وأمسِ كعادٍ وان كان منك مُطيفَ الخيال قريبَ الصُّوَر
لقد نفض الليلُ منك اليدينِ وأدركَ فيك النهارُ الوَطَرَ
وأمسيتَ تحت لواءِ التراب قهرتَ القضاء ودِنت القدر
تلفَّتْ وراءكَ أين الغرورُ وأين السرورُ وأينَ الأشَر
وأين معالمُ عُرْسِ الحياة وأين سنا ليله المزدَهِر
وأين شبابٌ كحُلْمِ العروسِ ضَحُوكُ العَشِيَّاتِ طَلْقُ البُكر
وأين العداواتُ من سافرٍ مُبينٍ ومن كاشحٍ مُسْتَتِر
وأين المودَّاتُ من صُحْبةٍ كنحلٍ يَحُمْنَ وأنت الزَّهرَ
قليلون عند امتناعِ القِطَافِ كثيرون عند رجاء الثمر
وكم مَن سَقَيْتَ بشَهْدِ الوداد ولم يَجْزِ الا بصابِ الإبر
ودُقْ سِنَةً لا كَكُلِّ السِّنَاتِ ونمْ ليلةً مالها من سَحَر
وقُلْ للصديقِ طوَيْنَا الحديثَ وقلْ للعدوِّ دفنَّا الخبر
وهيِّىءْ مكانيهما فى الترابِ فان ركابَهما مُنْتَظَر

سعد : أميةُ ماذا ترى فى الغريض؟

أمية : وماذا أرى فى أميرِ الطرب؟

سعد : لقد علم الناسُ أن الغريضَ مُغَنِّى الحِجازِ وشادى العربْ

ولكن . . .

أمية : وماذا وراءَ « ولكن ؟ » فمن شأنها أن تُثيرَ الرِّيَب

سعد : اميَّ اخفِضِ الصوتَ لايسمعَنَّ ويغضبَ فهو قريبُ العصب

وأُذْنُ المغنى تُحسُّ النسيمَ وتَسمعُ فى الكأسِ جرس الحَبَب

أميّةُ إنى أخافُ الغريضَ وإن التَّطَيُّرَ بى قد ذهب

أمية : وأين ترى الشؤمَ حولَ الغريض وكيف ؟

سعد : رُويدكَ تدرِ السبب

أليس الغريضُ يَهيجُ البكاءَ فلو رام دمعَ العروسِ انسكب

ترعرع فى بِيئةِ النائحاتِ وعلَّمنه النَّدبَ حتى نَدَبْ

ينوحُ بيثربَ آلَ الرسولِ ويُذْكِى مآتمَ أهلِ الحَسَبْ

أمية : وأين يدُ الشؤمِ مما ذكرتَ وأىَّ بلاءٍ علينا جلَبْ

وما هو إلا مُغَنِّى الحياةِ بناحيتيها الأسى والطرب

سعد : ولكننا قاصدو عامرٍ لنقضيَ حقًّا لِقيس وجب
ونسألَ عن عاشقٍ فى الديارِ طويلِ البلاءِ ثقيل الوَصَبْ
ومن زار بالنائحات المريضَ وأهلَ المريضِ أضاع الأدب

« يهيأ العريض للعناء »

هو ذا هاج شجْوُه هو ذا يُرسلُ النغَمْ
هاتفٌ من نُواحِه رنَّ فى القاعِ والأكَمْ
هو فى كلِّ خاطرٍ وفؤادٍ صدَى الألم

« أنشودة العريض »

واديَ الموت سلامُ وسقَى القاعَ الغمامُ
السماء القُدْسُ مِحرابُكَ والأرضُ الحرامُ
أنتَ فى الصمتِ مُبينٌ ومن الصمتِ كلامُ
لم يَمُتْ أهلُكَ لكن غشِيَ الليلُ فناموا
غُيَّبٌ لم ندر ما صاروا ولا أين أقاموا

« يخرجون الى ناحية الحى من حيث يسمع آخر »
« الانشودة ثم يدخل من الجانب الآخر على أثر »
« اختفائهم ، قيس وزياد »

قيس : جبلَ التَّوْباد حيَّاكَ الحيا وسقى اللهُ صبانا ورعى

فيكَ ناغينْا الهوى فى مهده ورضَعْناه فكنتَ المُرضِعا

وحَدَوْنا الشمسَ فى مَغرِبها وبكَرْنا فسبقنَا المَطلعا

وعلى سفحِكَ عِشْنا زمنا ورعينا غنمَ الأهل معا

هذه الرّبوةُ كانت مَلْعبًا لشبابينا وكانت مَرْتعا

كم بنيْنا من حصاها أربُعًا وانثنينا فمحونا الاربُعا

وخططْنا فى نقا الرمل فلم تحفَظِ الريحُ ولا الرملُ وعى

لم تزَلْ ليلى بعينى طفلةً لم تزِد عن أمسِ الا إِصبعَا

ما لأحجارِكَ صُمًّا كلما هاج بى الشوقُ أبتْ أن تسمعا

كلما جئتُكَ راجعتُ الصِّبا فأبتْ أيامُه أن ترجِعا

قد يهونُ العُمُرُ الا ساعةً وتهونُ الأرضُ الا مَوْضعا

« يظهر بشر قادما الى المقبرة من ناحية الحى »

بشر : عزاءً قيسُ !

قيس : مَنْ ؟ بشرُ ؟

بشر : أجل

قيس : فيمن تُعزِّينى ؟

أنا الميِّتُ يا بشرُ وإن أخِّرَ تكفيني

« يضطرب بشر وقد أدرك جهل قيس »
« وحرج الموقف ثم يميل هامسا الى زياد »

بشر : يجهَلُ قيسٌ موتَها ولم أخَلْ أن يجهلَهْ
ويْحَ له وويْحَ لى ! ماذا عسى أقولُ لهْ
إن الحبيبَ نعيُه الى المحب مُعضلهْ
إنى أخاف إن أنا خبّرْتُه أن أقتُلَه

قيس : بشر

بشر : لَبّيك قيسُ

قيس : من أين يا بشرُ ؟

بشر : من الحيّ

قيس : ما حوادثُ عامرْ ؟
كيف أمى يا بشر ؟

بشر : برّحها الشوق

قيس : وأهلى . .

بشر : حنينهم متكاثر

قيس : ولِداتى من فتيةٍ وعذارى ؟

بشر : كلهم شيِّقٌ لعهدك ذاكر

قيس : كيف بيتٌ لنا بمدرَجةِ الريح ونادٍ على النجوم وسامِر ؟
والنخيلاتُ كيف خلَّفتَها بشر

بشر :

كما هن باسقاتٌ نواضر

قيس :
ومِهارى التى تركتُ صِغاراً ؟

بشر :

كبِرت قيسُ فهى جُردٌ ضوامر

قيس :
عزّتِ البيدُ ، تُنبتُ السابق الفذَّ وتأتى بفارس وبشاعر !

« يضطرب بشر »

ويح بشرِ ماذا به ؟

بشر : قيس !

قيس : بشر !

أنت فى نفسكَ الخفيّةِ ثائر

تُشبهُ الحزنَ والبكى نبَراتٌ لك كانت كضلخكات المراهر

« بشر — الى نفسه ثم الى قيس »

ربِّ ماذا أُجيب ؟ لا شيءَ يا قيس . .

قيس : بل الحزنُ فى مُحيّاك طاهر

ولقد راعنى لك اليوم جِدٌّ من خليع العِذار بالأمسِ سادِر

« تغرورق عينا بشر بالدموع »

ماجرى؟ماالذى أثارك يابنَ العم؟ ما هذه الدموعُ البوادر ؟

بشر : قيس لا شيءَ

قيس : بل كتمتَ جليلاً

هذه وَحمةُ النَّعِىّ المحاذر !

بشر : قيس . .

قيس : لا تَجِمْ ولاتُخفِ شيئا أنا يا بشرُ بالفجيعةِ شاعر

خُلجتْ قبل نلتقى عينىَ اليسرى وريعَ الفؤادُ روْعةَ طائر

بشر : أعفِنى! أعفنى! بربك ماأنت على ما أقولُه لك قادر !

قيس : أماتت ؟

بشر : أحل قضتْ أمسِ . .

« قيس وهو — يغمى عليه »

واليلاه !

بشر : لله — ما أشدَّ المقادر !

« يمضى بشر فى سبيله »

« زياد — مقتربا من قيس »

هو مغمى عليه ربّاً يصحو؟ هل لهذا العذاب يا ربّ آخر؟

« يصحو قيس »

زياد : تباركتَ يا ربِّ قيسُ أفاق ؟ صحتْ عينُ وصحا المسمعُ !

رجعتَ لنا قيس

قيس : هيهاتَ هيهات ! من كان فى النّزْع لا يرجِع

لقد بقِيتْ خفْقةٌ فى السراج سيلفِظَها ثم لا يسْطِع

زيادُ غداً يلتقى الموجَعون وموعِدنا ذلك البلقع !

« يشير الى المقابر »

عرَفتُ القبورَ بعرْف الرياح ودلّ على نفسه الموْضِعُ

كثكلى تلمّسُ قبرَ ابنها الى القبر من نفسها تُدْفع

هداها خيالُ ابنها فاهتدت وليلى الخيالُ الذى أَتبَع

لنا اللهُ يا قلب ! ليلاكِ لا نجيبُ وليلاىَ لا تسمع !

فُجعنا بليلى ولم نك نحسَبُ يا قلبُ أنا بها نُفجع

« يقترب الى القبر باكياً ويكب بوجهه على حجر من أحجاره »

أَعينىّ هـذا مكانُ البكاء وهـذا مسيلُك يا أدمُعُ !

هنا جسمُ ليلى هنا رسمُها هنا رَمقى فى الثرى المودَع

هنا فمُ ليلى الزكىُّ الصحو كِ يكادُ وراء البلى يلمَعُ

هنا سِحرُ جفنٍ عماه الترابُ وكان الرُّقَى فيـه لا تنفع

هنا من سمائى كتابٌ طواه وليس بناشره البلقَع

هنا الحادثاتُ ، هنا الأملُ الحـلوُ يا ليـلَ ، والألمُ المُمتع

طريدَ المقادير هل مَن يُجيرُ كِ منها سوى الموتِ أو يمنع ؟

تَزِلُّ الحيـاةُ لسلطانها وللموت سـلطانُها يخضعُ

طَريدَ الحيـاةِ ألا تستقِرُّ ألا تسـتريحُ ، ألا تهجَع ؟

بَلَى قد بلغتَ الى مَفزَعٍ وهـذا الترابُ هو المفزَع

« يظهر الاموى شيطانه من بعيد ويناديه »



« أعينى هذا مكان البكاء وهذا مسيلك يا أدمع »

(صفحة ١١٩)

الاموى : قيسُ

قيس : مَن الهــاتِفُ من ... نادى الشريدَ المُطّرَحْ

الاموى : أنا الذى أوْحى اليكَ ... حُبَّ ليـلى واقترَحْ

قيس : إِذهبْ وإن لم أدْرِ رُو ... حٌ أنت أم أنت شبَحْ

إذهبْ فلستَ صالحا ... وأىُّ شـيْطانٍ صلُحْ

كنتَ قرينَ السوء لى ... وكنتَ شرَّ من نَصَحْ

لولاك ما بُحتُ بمـا ... خدّش ليلى وجرَح

كأنه فى عِرضها ... زيتٌ على الثوب سَرَح

الاموى : أفِقْ قيسُ

قيس : سِرْ خَلّنى ياخيـال ... ومَنْ بالخيال لمن لم ينَمْ

الاموى :

حنانيْكَ قيسُ أقِلَّ العتابَ ... ولا تَسكبنَّ دموعَ الندمْ

تفرّدْتَ بالألم العبقرىّ ... وأنبغُ ما فى الحيـاة الألم

مُريبُك يا قيسُ فوق التراب ... وأنت مع النَّجمِ فوق التُّهَم

أخذتَ سبيلَك نحو الخلود ... وليس الخلودُ سبيلَ الأُمَم

قُم اهتِفْ بليلى وشَبِّبْ بها ... وخَلِّ التقاليدَ وانسَ الحُرَم

وطِرْ فى الهواء طليقَ الجناح ... وسِرْ فى الأديم طليقَ القدم
فلو أنصفَ الناسُ خلَّوْا كما ... كتَركِ الوفود حمامَ الحرَمْ
قُم ابسُطْ جناحَك فوقَ القِفار ... وطِرْ فى الوهاد ، وقَعْ فى الأكَم
واترِعْ من الوتر العبقرىِّ ... سَماءَ القصور وأرضَ الخِيَم
وألِّفْ على الحب شتّى القلوب ... وأرسِلْ بسرِّ الجمال النغم
تغَنَّ بليلى ونُحْ بالغرام ... وبُثَّ الصبابةَ واشكُ السقَم
فلا خيرَ فى الحب حتى يَذيعَ ... ولا خيرَ فى الزهر حتى يَنِمْ

قيس : أقوم ؟ . . . . هات قدَما
أقول ؟ . . . . أعطى فَما
أما ترانى هيكلاً محطماً مُهَدَّما !

« يختفى الشيطان ويستمر قيس »

يارَبَّ قيسٍ هل نعيمُ وهل جرتْ ... كأسٌ تدورُ على النفوس مَشاعُ
أوْلا فما بالى أنوء بهيكل ... للموت فيه وللحياة صِراع ؟
اليومَ آذننا القضاء بحكمه ... مالى ولا لك ياحياةُ دفاع
راجعت فى الموت الحياةَ وعادنى ... فى النزْع يا ليلى اليك نِزاع

كيف الوَداعُ من الحياة ولم يُتَحْ ... لىَ منك ياليلى الغداةَ وَداع
هيهات لم تعدِمْ شـذاكِ قرارة ... حولى ولم يَعدِمْ سناكِ يَفاع
وعلى سمـاء البيد منكِ بشاشةٌ ... وعلى رمال البيـد منكِ شُعاع
وكأن كل ضبابةٍ دون الضحى ... قسَماتُ وجهك دونَهن قناع

« يمر به ظبي سارح فيتأمله قليلا ويناجيه »

ياظبى بكِّ من افتـداكَ بمـاله ... إذ أنت عانٍ تُشتَرى وتُبـاع
وأباح طفلَك ماءَه وطعامَه ... اذ هنّ عَطْشَى بالفَلاة جيـاع
ياقاعُ كن نعشى وكن كفنى وكن ... قـبرى وقُمْ فى مأتمى ياقاع
واجمعْ لتشييعى الظِّباء، ومَنْ رأى ... ميتًا بأسراب الظباء يُشـاع
أتُرى أموتُ كما حييت مُشرَّدًا ... لا الأهلُ من حولى ولا الأتباعُ
وأبيتُ وحدى لا الوحوشُ أوانسٌ ... حولى هناك ولا الظباءُ رِتاع ؟

« تتخاذل سيقان قيس فيتلقاه زياد ويظهر »
« ابن ذريح على مقربة من القبر خاشعاً باكياً »

زياد : قيسُ لا بأسَ عليكْ ... أنا ذا بين يديكْ

قيس :

نفسُ اطمئنى الآن لستُ وحدى ... قد حضرَ الذى يَخُطُّ لحـدى

ويُرْشِدُ الحيَّ الىّ بَعدى   زيادُ أنتَ المشْفِقُ المفَدّى

لم أنفرِدْ الا رُؤيتَ عندى

« يتبين شبح ابن ذريح »

زيادُ ما داكَ منذا   يبكى وراءَ الضريحِ

إنى أعارُ على القبر   من عريبِ الجُروح

زياد : لا تخشَ يا قيسُ منه   فانه ابنُ ذريحِ

ابن ذريح :

يا ليلَ قبرُكِ رَبوةُ الخُلْدِ   نفَحَ النعيمُ بها ثرى نجدِ

فى كل ناحيةٍ أرى مَلَكا   يتنفسون تنفُّسَ الورد

لبسوا الجُمانَ الرَّطْبَ أجنحةً   وتناثروا كتناثُرِ العِقد

وتقابلوا فعلى تحيّتهم   مِسْكُ السلام وعَنبرُ الرد

وكأن نجواهم وسُبحَتهم   صَوْتُ الغمامة أوصَدَى الرعد

نفحاتُ طِيبٍ ههنا وهنا   ما للرياض بهن من عهد

يا قيسُ صبرا ههنا مَلَكٌ   ذبْحُ الصبابة مُشهَدُ الوجد

أصحُ انتبهْ واطرَحْ بعينك فى   بَهَجِ السماءِ وحُسْنِ ما تبدى

قيس : أين السماء وأين مُحتضَرٌ   طلعتْ عليه الأرضُ باللَّحْد



فى كل ناحية أرى ملكا يتنفسون تنفس الورد

(صفحة ١٢٤)

السهدُ عذّبنى وذى سِـنةٌ أجِدُ الشفاء بها من السُّهد

ولقـد أقولُ لمن يُبَشِّرُنى بالخُلد ما أنا داخلٌ وحدى

لو أن ليـلى فى النعيم معى أو فى الجحيم تساويا عندى

ليلى النعيمُ وقد ظفِرت بها فاليوم نرقُدُ فى ثرى نجـد

إنى أحبُّ و إن شقيتُ به وطنى وأوزِرهُ على الخُلد

« يسمع صوتا ضئيلا كأنما هو خارج من القبر »

الصوت : قيس

قيس : مَنِ الصوتُ ويحى أبى سِحرُ

الصوت : قيس

قيس : زيادُ اسمعْ وأصغِ يا بِشرُ

الصوت : قيس

قيس : سمعتُ اسمىَ يلفِظُه القبرُ

الصوت : قيس

قيس : تناديني من قبرها باسمى

لبيّكِ يا ليـلى بالروح والجسم

« يدخل فى دور الاحتضار الاخير »

هل أسى الموتُ جراحينْا وهل　　قربَ الدارَ وهل لمّ الشتاتْ؟

أصوات: قيس ، ليلى

قيس : رنّةٌ فى أذُنى　　رددتْ قيسَ وليلى الفلَواتْ

نحن فى الدنيا وإن لم ترنا　　لم تمُتْ ليلى ولا المجنونُ مات

« ستار الختام »

نظرات تحليلية

تمهيـــــد

اختلف الرواة فى مجنون بنى عامر ، فى اسمه وفى شخصه ، وفى حياته وموته ، وفى قصة هواه أهى موضوعة . لها بها قوم وتداولها آخرون ، أم هى مأساة حقيقية ، ومهما يكن فقد أصبحت قصة المجنون فصلا خالدا فى تاريخ الأدب العربى فيه روح شعرية ناضرة ، تحدث الأجيال عن أسمى وأعلى مثل للغرام البدوى القوى العفيف وهذا ما يعنينا حيال هذه الرواية الجديدة

هيكل الرواية

اختار المؤلف لمجنون بنى عامر اسما واحدا من بين الأسماء الكثيرة التى اختلف فيها الرواة ، هو « قيس بن الملوّح » ثم كنّى عنه فى بضعة مواضع بأبى المهدى ، واختار لحياة قيس من بين رواياتها

المختلفة ، أسلسها وأجراها مع المنطق : أن قيسا وليلى نشآ فى بيتين من أشرف بيوت بنى عامر ، فتعارفا طفلين ، فتوادّا ، فاستحالت مودتهما غراما مع الأيام . ثم شبّب بها قيس فى شعره فحيل بينها و بينه نزولا على ما سوف ترى من سنة البادية ، فزفت إلى غيره ، فاتقد هواه واتقد حتى أشرف بعقله وجسمه على حال هى الجنون أو تكاد

فأما شرف بيتيهما فتراه حيث يتحدثون عن قيس فيقولون فى غير موضع واحد إنه «سيد من عامر وابن سادات» وحيث يتحدثون عن ليلى فيقولون عنها «عقيلة الحمى» و ينادون أباها « ياسيد الحمى »

وأما مودتهما طفلين فاليك عليها شاهدين من عدة شواهد تراهما فى كلام المجنون :

« فكم قبلة ياليل فى ميعة الصبا وقبل الهوى ليست بذات معان »
« أخذنا وأعطينا اذا البهم ترتعى و إذ نحن خلف البهم مستتران »

***

« هذه الربوة كانت ملعباً لشبابينا وكانت مرتعاً »
« كم بنينا من حصاها أربعاً وانثنينا فمحونا الأربعا »

« وخططنا فى نقا الرمل فلم تحفظ الريح ولا الرمل وعى »
« لم تزل ليلى بعيني طفلة لم تزد عن أمس الا إصبعا »

وأما هواهما ، وكيف حبل بينهما ، فأنظرنا قليلا نقص عليك نبأه فى شيء من التعميم والأطناب

لمحة سياسية

كان الحسين بن على كعبة القلوب والأبصار فى جزيرة العرب ، بعد أن قتل أبوه على ، ومات أخوه الحسن ، وانتهت خلافة الاسلام الى معاوية بن أبى سفيان

أصبح معاوية أمير المؤمنين ، وانداح السلطان عن بوادى العرب الى حواضر الشام ، واستقر الحكم الجديد فى دمشق تاركا مكة وما يليها تحت ولاية مروان بن الحكم فى هذا العصر عاش المجنون فى بادية نجد أو قيل إنه عاش

ما كان فى الحجاز وما يليه يومئذ مسلم يستطيع أن يبتسم للزمن الجديد وللدولة الجديدة ابتسامة من أعماق نفسه ، وهو يرى الدين الذى هشت له عاطفته وقلبه ، وامتلأ منه يقينه وإيمانه ، تعرض له

الدنيا التى أقبلت على دمشق محمولة على أسـنة بنى أمية وأحلامهم فتنقله من حيث كان يراه هـذا العربى فى مكة ميزان العدل وآية الزهد والورع ، الى حيث قدر له هذا العربى أن يكون فى دمشق ملـكا دنيويا

وكذلك ظل الحسين قائما فى نفوس الناس هناك صورة مقدسة لبداوة الاسلام ، تستمد أنضر ألوانها من صلته القريبة بجده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبنوته لرجل كان أشد الناس زهدا واستصغارا لدنياه ، وكذلك ظهرت بلاد العرب وقلبها يخفق باسم الحسين ، ولسانها المغلول إما منافق يترضى الحاكم الجديد ، وإما خائف تسنح له الفرصة فيهتف باسم الحسين فى معزل عن العيون والأرصاد

قدّمَت ليلى الى أترابها فى مجلس من مجالس السمر ، ابن ذريح على أنه رضيع الحسين ، قادما من يثرب يشفع عندها لصديقه قيس . قالت عبلة لجارها بشر :

« أتسمع بشر : رضيع الحسين ، فديت الرضيعين والمرضعه . »

« وأنت إذا ما ذكرنا تصاممت . . . . »

فانظر كيف يجيبها بشر وكأنه أهين :

« . . . . لا جاهلا موضعه »

« ولكن أخاف امرأ أن يرى على التشيع أو يسمعه »

« أحب الحسين ولكنما لسانى عليه وقلبى معه »

« حبست لسانى عن مدحه حذار أمية أن تقطعه »

ثم ترى الحسين فى موكبه بين مكة والمدينة ، فاذا الحادى يغنى:

« يا نجد . . . . »

« سر فى ركاب الغمام ليثرب »

« هـذا الحسين الأمام ابن النبى »

وإذا عامل من عمال بنى أمية ، هو نصيب كاتب ابن عوف أمير الصدقات فى الحجاز ، ينسى فى جلالة هذا الموكب نفسه ومكانه من أمية ، فيجيب زيادا والغصب آخذ منه ، إذ يسأله « من لواء الموكب ؟ »

« قد بين الحادى فقل أصم أنت أم غبى »

« هـذا منار العرب هذا الحسين ابن النبى »

« هـذا سنا جبينـه ملء الوهاد والربى »

وإذا ابن عوف أشـد من صاحبه حرصا على نفسه ومكانه من أمية ، وإذا هو أكثر منـه تقديرا لسلطانهم ؛ وكأنى بك وقد أشفقت على نصيب أن يصيبه غضب مولاه ، لـكن الواقع أن مولاه لا يغضب منه ولا يقسو عليه وإنما يكفيه فى أمره عتب تافه يهمس به اليه :

« نصيب صه لا تسلـكن بنا مسالك التهم »
« إحذر جواسيس ابن هند وعيون ابن الحـكم »

وكأنه فى هذا العتب الهامس الرقيق يشارك عامله فى تقديس الحسين ، بل هو يجهر بهـذا الحب جهرا ضمنياً إذ يقول لزياد عن غيبوبة المجنون :

« زياد انظر فما أنفك صريع الوجد والذكرى »
« كما مر بنا الركب الحسينى به مرا »
« فلم يشغـل له بالا ولم يوقظ له فكرا »

ثم يعود نصيب فى موقف آخر فيذكر الحسين عائبا ، لـكنه

يذكره فى هذه المرة بينه و بين نفسه ، لا يخشى سطوة أمية ولا عتب ابن عوف « ولا عيون ابن الحكم » فتراه فى هذه المرة يلعن الزمن و يلعن الوطيفه إباء على مولاه أن يتشبه بالحسين فى الشفاعة لعاشق ، إذ يقول :

« يا دهر در بما تشا ويا حوادث اهزلى »
« و يا وطيفة اعزلى ويا جراية ارحلى »
« يبغى ابن عوف أن يكو ن كالحسين ابن على ! »

وهنا تخرج ليلى أو يخيل اليك أنها خارجة عن تلك القاعدة التى وضعناها لسكان البادية ومنزلة الحسين من نفوسهم ، كما تخرج عنها فى قول ابن ذريح :

« ألأنى أنا شيعى وليلى أمو ية ؟ »

ويخرج معها قيس فى هذا البيت ، أو كذلك يخيل اليك :

« ليلى على دين قيس فحيث مال تميل »

على أنه بالرغم من كل ما ذكرنا فى هذه اللمحة السياسية ، يجب أن نعود فنقول إن هذا التشيع الحزبى لم يكن له أثر كبير فى

حياة أولئك العرب البادين ، ولم يظهر فى الرواية الا فى هـذه بضعة مواقف ، ثم غطاه المؤلف بنزعة أقوى منـه أثرا فى حياة قاطن الصحراء ، نزعة تعبر عنها ليلى اذ تقول :

« ولم نصطدم بهموم الحياة   ولم ندر لولا الهوى ماهيه »

و يعبر عنها زياد إذ يقول :

« سيطر الحب على دنيا كمو   كل شيء ماحلا الحب عبث »

عادات العرب

أظهر ما يضرب العين فى هـذه الرواية من عادات العرب تلك السنة التى جروا عليها أن يحولوا بين العاشق ومعشوقته إذا شبب بها وأعلن هواه والتى يقدمها المؤلف فى أكثر من موضع يقول فى أحدها

« ومن عادة البيد نفض الأكف   من العاشـقين إذا شببوا »

والتى يعللها لك المؤلف بخشية العـار والفضيحة فى أكثر من موضع كذلك يقول فى أحدها والحديث عن ليلى بين قيس وشيطانه :

« لولاك ما بحت بما   حدش ليلى وجرخ »

« كأنه في عرضها زيت على الثوب سرح »

والمؤلف يرجع بهذه السنة الى شرع جاهلى قديم ، ترى أقوى الشواهد عليه فى قوله إن ليلى إذ ضربت بعرامها الأرض إنما كانت :

« تصون القديم وترعى الرميم وتعطى التقاليد ما توجب »

« وبالجاهلية إعجابها . . . . »

ثم ينحدر المؤلف بهذه السنة قوية مع الزمن حتى تعرض لها حضارة الاسلام فتوهن من قوتها ، وترسل فى جبروتها نفحة من روح التسامح ، تهمس تارة على شفتى رجل مجهول أن ليلى إذا كان إعجابها بالجاهلية فقد « قال بالسلف المعجب » وتنادى حى ليلى تارة على لسان شخص آخر :

« هبوه جن بليلى ليس العرام بجرم »

ثم تتغنى تارة أخرى على ألسنة الصغار :

« إيه يا شاعر نجد ونجى الظبيات »

« أضمر الحب وأبد لأعف الفتيات »

ثم تتحرك هذه الروح فتستشفع الحسين فى عاشق ، وتستشفع

بن عوف فى عاشق آخر ، ثم تقوى هـذه الروح فتسلط الندم والعذاب والتعاسة على هذه الفتاة التى « تصون القديم وترعى الرميم وتعطى التقاليد ما توحب » تجعلها « مأمورة يقود لسانها شيطان » وطعينة « بسكين من العادة والوهم » وتمرها فى بيت « هو القبر حوى ميتين حارين على الرغم » ثم تسلط عليها الداء « يلتهم هيكلها » واليأس « يصدع قلبها » والموت يسلبها الحياة

على أن هذه الروح الجديدة التى دبت فى عتق هذه التقاليد لم تزلزل سلطانها جميعاً ، وحسبك ما رأيت من هدر دماء قيس ترضية لهـذه التقاليد حتى تعلم أن هذه الروح كانت فى مولدها تعمل عملها لبطىء فى سكون

ثم يتلو هذه العادة سلسلة من أخواتها الصغار منها استدفاع الحذر بنداء الحبيب ، وعلاج الغيبوبة بالتكبير فى أذن المعمى عليه ، وإيقاد النار وراء الضيف الثقيل وفى هذه يقول ابن عوف :

« نزلت فلم أكرم فهل أنت متبعى وقومك نار الطرد حين أميل »

ومنها تصفيق المسافر وارتداؤه الثوب مقلوباً إذا ضل الطريق ،

ومنها - ونقرر هذه العادة بشيء من التحفظ — إطلاق الحرية للفتاة في اختيار القرين كما يبدو في قول المهدي لفتاته

« هو الحكم يا ليلى ما تحكمين خذى فى الخطاب وفى فصله »

فقد تكون ثقة الرجل من رأيها وقوتها وحرصها على حرمة التقاليد ، هى التى جعلته يقامر مطمئناً بهذا الاطلاق ، وقد يكون هذا التحفظ لا محل له اذا وضعناه فى الميزان مع قول من يقول :

« وليلى ابنة الشيخ مارأيها اما من حساب لها يحسب »

حياة البادية

فى هذه الروايه صور متفرقة من السهل أن نؤلف منها يوماً من أيام البادية بسيط المطامع فى حاه الحياة . . . ماذا يفعل البدوى فى يومه هذا وما هو الا ظل مصغر من حياته جميعاً ؟ يأكل من طعامه البسيط وتسميه هند « ما طهت الماشية » ويبسط لك المؤلف أحفل موائد هذا الطعام البسيط فى قول المهدى :

« هو الضيف ياليلى هاتى الرطب

وهاتى الشواء وهاتى الحلب »

« وهاتى من الشهـد ما يشتهى

ومن سمنـة الحى ما يطلب »

ثم يرعى قطعانه يأكل منها و يكتسى من صوفها بما تغزل يداه ثم يصيد أحياناً لرياضته وأحياناً لطعامه وأحياناً ليدفع عن نفسه ضراوة الوحوش وفى ذلك تقول لبلى :

« وآناً نخف لصـيد الظبا ء وآناً الى الأسد الضارية »

ثم يحب وسنعرض لهذا الحب بعد قليل ، ثم يؤمن بالدين والجن والسحر وتراها مجتمعة على لسان ليلى إد تقول :

« لا الحواميم تصرف الجن عنا حين تتلى ولا رقى السحر تجدى »

ثم أخيراً يحرص على شرفه وعرصه ، و يدفع عنهما بالروح بغى الآثمين ، وخير ما يبدو لك هـذا العنصر القوى فى حياة البدوى عند ما ينادى المهدى رجل من رجال الحى :

« ذد عن عقيـلة الحمى وامنع حياض الترف »

« نحن كعثمان وليـلى بيننـا كالمصحف »

غرام البادية

تتحدث ليلى عن البادية فتقول لابن ذريح :

« أكنت من الدور أو في القصور ترى هذه القبة الصافيه »
« كأن النجوم على صدرها قلائد ماس على غانيه »

ثم تستأنف حديثها فتقول :

« لها قبلة الشمس عند البزوغ وللحضر القبلة الثانيه »

وتتحدث هند عن هذه البادية نفسها فتقول :

« كفى يا ابنة الخال هذا الحرير كثير على الرمة الباليه »
« تأمل ترى البيد يا ابن ذريح كمقبرة وحشة خاويه »
« سئمنا من البيد يا ابن ذريح ومن هذه العيشة الجافيه »
« ومن موقد النار في موضع ومن حالب الشاة في ناحيه »
« وراغية من وراء الخيام تجيب من الكلأ الثاغيه »
« وأنتم بيثرب أو بالعراق أو الشام في الغرف العاليه »
« مغنيكمو معبد والغريض وقينتنا الضبع العاويه »

« وقد تأكلون فنون الطهاة ونأكل ما طهت الماشيه »

وشيء واحد فى حياتى هاتين الفتاتين يعزى اليـه هذا التناقض البيّن فى الرأى والتقدير ، أن ليلى فتاة محبة محبوبة ، وأن هنداً ... ليست هند كما أرادها المؤلف الا قلباً مغلقاً لم تمسس قفله يد الساحر !

أولئك قوم من سكان البادية يعيشون فى هذا العالم المنبسط ، بين سمائه الصافية ورماله المترامية وأفقه البعيد ، كأنمـا يعيشون فى فراغ يمثلون فيه قصة صغيرة موجزة من قصص البشرية الأولى حيث القلب خلى والمطمع ضئيل واللهو ساذج والرزق محدود ، حيث تمر الحياة كأنها فى بساطتها وتكرارها وتشابه مناظرها بياض نهار وسواد ليل ، نهار ممل وليل مضجر طويل ، ودون هذا وتحس هند أنهـا تعيش فى قبر تتغنى الضباع العاوية فيه !

فى وسط هذا الملل والضجر قد يتفتح قلب البدوى للهوى ، فاذا هو الهم الشاغل والفصل الحافل فى حياة البدوى ان لم يكن حياته كلها ،

لقد يمنح الحضرى لهواه ركنا من قلبه الزاخر بهموم الحضارة وأطماعهـا ولهوها ولعبها ودنياها ، يمنحه هذا الركن منحة ، وهو

واثق أنه الركن الضيق المنزوى ، وأنه الركن الذى تصيبه فواجع التضحية بين العاطفة والمادة .

أما البدوى فلا يمنح من قلبه لهواه شيئا وإنما يسلمه هـذا الهوى من قلبه كل شىء ، كلما عز عليه المنال ، وما أكثر ما يعز منال الهوى فى البادية ، كلما اندفع صاحبه وراءه اندفاع المتكالب المجنون

فهل من عجب بعد ذلك أن ترى ليلى البادية ما تراها ، وهل من عجب أن تقول عن نفسها وقومها :

« ولم نصطدم بهموم الحياة ولم ندر لولا الهوى ماهيه »

« ويقتلنا العشق والحاضرات يقمن من العشق فى عافيه »

وهل من عجب أن يخامر هذا الداء قيساً فيقول :

« سجا الليل حتى هاج لى الشعر والهوى

وما البيـــد الا الليل والشعر والحب »

« ملأت سماء البيد عشقاً وأرضها

وحملت وحـدى ذلك العشق يا رب »

دع هـذا الهوى فى قلوب أصحابه يزخر ويتقد ، وعد بنا إلى البادية . . .

ما ظنك بأرض يضخم فيها كل شيء ، يزأر الأسد فيرعد زئيره، ويخفق القلب فيقل خفوقه ، ويعثر العاشق عثرة لسان — كما تعثر لسان قيس بليلة الغيل — فاذا عثرته فصيحة تذل قبيلة وتملأ بذلها أفواه الكبار والصغار ؟ . . . ثم أخيراً ما ظنك بحب يعيش فى هـذا المحيط ؟ أيستطيع هـذا الحب الا أن يكون « عذريا » تحار الرقى فيه ؟ أيستطيع هذا الحب الا أن يعف ويتصوف حتى تفتح له نافذة فى هذه الأقفاص ؟

قيس

ليست حياة قيس فى الرواية إلا زفرة متصـلة تتردد فى قلب مغرم جريح

ولكنا نعرض لقيس من ناحية أخرى ، قد تكون عارضا على حياته لا يدله فيه ، وقد تكون فى حياته صدى هذا الهوى الجامح ، نعرض له من حيث اتهم بالجنون ولقب به ، لنرى حظه من حقيقة العقل أو حقيقة الجنون

الناس يصمون قيسا بالجنون أحيانا ، ثم يستنقذونه من هـذا

الجنون أحيانا ثم يأخذهم فى أمره كثير من الشك والحيرة أحيانا أخرى ، وهم فى هذه الثلاثة الأحوال يتحدثون عن قيس فى شىء من يقين الواثق بصدق ما يقول . والمؤلف حفظه الله أشار الى ذلك ، أنظر الى منازل يقول عنه لزياد :

« تؤدبنى زياد وأنت ظل   لمجنون وراوية لهاذى »

ثم يعود مرة أخرى فيسأل الناس :

« إن قيسا كامل فى عقله   أو آنستم على قيس الجنون ؟ »

فيجيبه الناس مقسمين : « لا ورب البيت »

وتراه فى مرة ثالثة حائرا فى أمر قيس يتحدث عنه فيقول :

« تشرد مستعطيا فى البلاد   وجن فما ازداد الا نهى »

بل مالى استشير لك خصوم قيس فى عقل قيس ، اليك ليلى نفسها ، إنها فى موضع واحد تقرر من عقل قيس ما يقرر الناس ، وتنفى عنه ما ينفون وتحار فيه كما يحارون إذ تقول :

« وقيس ذو جنة وإن زعموا   جنونه مدعى ومصطنعا »

« تحير الناس فى جنون فتى   لا عقل الا بشعره ولِعا »

وهذا قيس كذلك يقول مرة :

« من مبلغ أمى الحزينة أن عقلى اليوم ثاب »

وفى مرة أخرى يقول :

« عساهم لا يقولون فتى مشترك اللب »

وفى موضع آخر يقول ويحار فى أمر نفسه كما يحار فيه الناس :

« ليلى نداء بليلى رن فى أذنى . . . . »

« ليلى لعلى مجنون يخيل لى لا الحى نادوا على ليلى ولا نودوا »

بعد تلك الاشارة نظر المؤلف الى ما يصدر عن قيس من أفعال وأعمال

فى الفصل الأول أغمى على قيس بين يدى ليلاه مرة ، فى لحظة تحرجها خشية الأب ، ولذعة النار ولقاء الحبيب فى معزل . . . وقبل هذا الاغماء كان قيس يتحدث لليلى حديث العاشق العاقل ، فأحس أن عينيه قد عامتا ، وأن ساقيه لا تحملان جسده ، ثم أخذته الغيبوبة فظل أسيرها لحظات حتى أفاق

« كالغصن الذاوى نحولا وكالمعيب اصفراراً »

فاذا صحا عاد فتحدث الى المهدى حديث العاقل وجادله جدال العاقل لا يكدر صفاء عقله وسواس من وساوس الجنون

وفى الفصل الثانى أغمى على قيس للمرة الثانية ، فى لحظة حرجة أخرى ، أحرجتها لوعة الذكرى كما أحرجها عذاب النفس ، كما أحرجها بغى الصغار . . . وقبل هذا الاغماء كذلك كان قيس يحدث نفسه حديث العاقل ، يقدر الاساءه اليه ، ويقدر شخص المسىء ، ويعفو عن هذه الاساءة كما يعفو العاقل الغفور الرحيم .

« قيس لا ــ سامح صغاراً لا يحسون الخطيئه »
« انهم فيما أتوه ببعاوات بريئه »
« لقنوها كلمات نزهات أو بذيئه »

ثم تأخذه الغيبوبة فينسى ما حوله ، ويطل أسيرها لحظات حتى يفيق منها فيتحدث عن هواه حديث المحب العاقل يسمع اسم ليلى على ألسنة الناس فيمار ويناقش ويحيل اليه عند ما ينتهى رنين الصوت فى أذنه ، أن هذا الصوت لم يكن إلا هذيان اغماء

« ليلى . . . . »

« هل المنادون أهلوها و إخوتها   أم المنـادون عشاق معاميـد »
« إن يشركونى فى ليلى فلا رجعت   جبال نجد لهم صوتا ولا البيد »
« أغير ليلاى نادوا أم بها هتفوا   فداء ليلى الليالى الخرد الغيد »
« . . . . »
« ليلى لعلى مجنون يخيـل لى   لا الحى نادوا على ليلى ولا نودوا »

وفى الفصل الثالث يغمى على قيس للمرة الثالثـة ، فى لحظة أخرى أحرجتها خشية الموت وخشية القتل . . . وقبل هذه الغيبوبة كذلك كان قيس يناجى ليلى وحبها مناجاة العاقل و يقرر و ينفى و يناقش فى منطق سليم ، ثم تدركه النوبة و يعوده الاغماء ، وقبيل أن يتمكن منـه يرى ما لا يراه الناس فى حى ليلى ، يراها هى ولا يحقق غيرها و إن كثر لدى حماها السواد ، وما فى حى ليلى سوى سـيوف مسلولة وأسود مغضبه ، تترقبه لتشرب من دمه وتنتقم منه لقداسة التقاليد ، ثم « يتمايل و يصفر به مثـل الجرادة » و يكاد يهوى إلى الأرض فيتلقـاه زياد ، وتأخذه الغيبوبة المعهودة ولا نستطيع أن نتعقبه عند ما يفيق

ثم يكون الفصل الرابع فنرى قيسا على مقربة من دار ليلى ،

وحيها الجديد ، وفى لحظة لا بد أن تكون هى الأخرى كأخواتها حرجة ، يحرجها الجهد والتعاسة ووعثاء السفر ، وتوقع لقاء الحبيب ، نراه يتصور صورا لا يمكن أن تخطر فى خيال عاقل ، فهو يرى الجن ويصفهم ويتحدث معهم ، ويقول لأحدهم :

« ما أنت إلا صوره   فى عصبى مصوره »
« وعبث لو كان عقـــلى حاضرا لأنكره »

ثم يسترد عقله الكامل بعد هذه الأزمة الحرجة فيناجز غريمه فى ليلى مناجزة العاقل ، ويتهكم عليه تهكم العاقل ، ويناقشه مناقشة العاقل ، ويغار منه غيرة العاقل ، ثم يسلمه غريمه الى ليـلاه ، فاذا حديثه اليها حديث العاقل كذلك ، وادا نجواه منها فى دائرة المنطق السليم ، وإذا غيرته كذلك وغضبه وكل ما يفعل لا تصدر الا عن محب عاقل غيور

ثم يكون احتضاره فى الفصل الخامس ، حيث يسمع مالا يسمع الناس ويرى مالا يرى الناس وما يعنينا هذا الاحتضار أن نعقل فيه أولا يعقل ، فقد يهـذى كل محتضر ويخلط ، وحسبنا مادة للبحث

تلك الفترات القصار التى كانت تتصع نقيس وعقله الى مكان بين بين، لا هو من الموت ولا هو من الحياة

أيه صورة من صور العافية أو أية صورة من صور الجنون الذى يعتاد سواد الناس ، تستطيع أن تعطى حيرة الناس فى أمر قبس ، وحيرته فى أمر نفسه ، وتلك الأدوار المتناقضة فى هذه الحياة المصطربة صحو يكون العقل والحواس والحركات فيه أصفى وأسلم ما تكون العقول والحواس والحركات ، ثم غيبو بة يختلط فيهـا العقل وتنطلق الحواس وتنشل الحركات ، ثم كذلك دواليك حتى تنطفىء هذه الحياه ؟ ؟

لاشىء من صور الصحه ولاشىء من صور الجنون ، يستطيع أن يغطى هذه الطواهر ، انما الذى يعطيها ويشتملها جميعاً هو المرض والمرض أنواع .

قيس إدن فى نظر المؤلف رجل عاقل مريض ، بالغ الهوى له فى وطأة الداء ، وليس ضلال الناس فيه ، وليس ضلاله فى نفسه إلا جهلا بهذا الداء كيف يكون ، وتسمية له بأقرب الأسماء اتصالا بهذه

الحياة المضطربة ، فى رأس هـذا البدوى الجاهل بضروب العلل والأدواء ، وأى الأسماء فى هذا الرأس أقرب اتصالا بهذه الحياة من ذلك الاسم القديم المعروف . . . الجنون ؟ ؟ كما أن ضعفه وهزاله كما يبدوان لك — أظهر ما يبدوان — فى قوله عن نفسه :

« أنا الميت يا بشر وإن أخر تكفيني »

ليس هذا الضعف والهزال الا مزيجا من وقدة العاطفة ورمنة الداء

ومن السهل بعد هذا أن تتعقب أخلاق قيس فى الرواية ، إباءه وعزته ، ورفعته وسماحته ، وأثرته وغيرته ، وليست كلها إلا صورة لأخلاق شاعر محب مريض .

ليـــــلى

تتلخص حياة ليلى وحبها فى هذه الـكلمات :

« أنا بين اثنتين كلتاهما النار . . . . »

« بين حرصى على قداسة عرضى واحتفاظى بمن أحب وصنى »

فأما أنها كانت تحب قيسا فقد ظلت تعترف بهذا الحب طول

الرواية تارة بينها و بين قيس ، وتارة أخرى بينها و بين الناس ، وأما أنها كانت تحمل من هواها ما يحمل قيس من هواه ، وتصون منه ما يصون ، وهي و إن ألحت في التصريح به ، فقد كان سلطان التقاليد البدوية عليها أقوى من سلطان هذا الغرام ، وقد رضيت أن تقتل نفسها وتقتل هواها وتخيب في قيس شفاعة الشافعين حرصاً على حرمة هذه التقاليد

ولقد تختلط هذه الحقيقة المؤكدة بكلمة نطقت بها ليلى ، إذ يقول لها أبوها وقيس مغمى عليه في داره ، وليلى تستنصر له وتستغيث « يرانا الناس ياليلى » فتجيبه « أب أنف الناس من فكرك »

كذلك تبدو ليلى كأنما تحتقر الناس وما يقولون ، لكنها لا تلبث أن تستدرك هذه العثرة فتقول ، وتخشى من سلطان التقاليد ما كانت دائما تخشاه :

« هنا لا تقع العين على غيرى ولا غيرك ! »

والى جانب هذا الحرص على كرامة التقاليد منحها المؤلف قوة في الرأى وعناداً فيه ، قد يكونان أثر هذا الحرص في نفسها وتراهما حيث يقول عنها قائل :

« أراها وان لم تخط الشباب عجوزا على الرأى.لا تغلب.»

وحيث يستغل أبوها فى نفسها هذه القوة ، فيدارى ابن عوف على حسابها ، ويطلق لابنته الحرية أن تتزوج من قيس أو من سواه ، وهو مؤمن كل الايمان بقرارها الأخير . وحيث يستغل زوجها ورد فى نفسها هذه القوة كذلك فيفتح بيته لغريمه راضياً ، ويترك شرفه تحت رحمة هـذا الغريم راضياً ، وهو موقن كل اليقين أن شرفه — ومن دونه هذه القوة — مصون لا يخشى عليه عدوان . وحيث تبرهن ليلى على هـذه القوة الـكامنة فى نفسها برهاناً قوياً فى آخر مواقفها وقيس ، ترى فيه مورد الهوى صافياً ممهد السبيل ، ثم تأباه على نفسها ، وتموت عطشى حرصاً على العرض والشرف وكرامة التقاليد .

المهـــــــدى

هذا الرحل طريدة أخرى من طرائد التقاليد البدوية فى هذه الرواية ، لـكن طاعته إياها ررينة لا تعرف العنف ، طاعة تخفف منها عاطفة الحنان على ابنته إذ يقول :

« أخاف الناس فى أمرى وأخشى الناس فى أمرك »
« وكم داريت يا ليـلى وكم مهدت من عذرك »

وعاطفة الرفق بشاب من ذويه زلت به هذه التقاليد إذ يقول :

« دم الود والقربى وإن كان ظالما عزيز علينا أن نراه يسيل »



مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

١٩١٦ / ٣١ / ١٠٫٠٠٠